صراط التوحيد

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2515) السنة التاسعة

الخميس (21) حزيران 2012

12

رسائل بين الاب الكرملي وسركيس

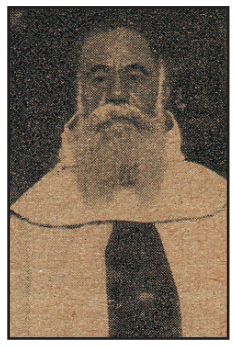

يعقوب سركيس

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

لعل صلة المؤرخ العراقي يعقوب سركيس الكبير بالمنتفك وتاريخها تعود الى صلة والده بها وباعلامها في منتصف القرن التاسع عشر ، وللتعريف بوالده وصلته تلك ، نقول انه : نعمة الله بن آكوبجيان بن سركيس بن آكوبجيان بن مقصود المعروف بنعوم سركيس ، الحلبي الاصل ، الارمني العنصر ، الكلثوليكي المذهب . ولد نعوم في بغداد سنة 1830 ، وكان والده قد هجر حلب لكثرة الزلازل التي وقعت في اوائل القرن التاسع عشر . وبعد ان نشأ نعوم و شب اتصل بآل السعدون ، الحمولة العربية الكبيرة التي لعبت ادوارا مهمة في تاريخ العراق في العهد العثماني .

شيء عن يعقوب سركيس

رفعة عبد الرزاق محمد

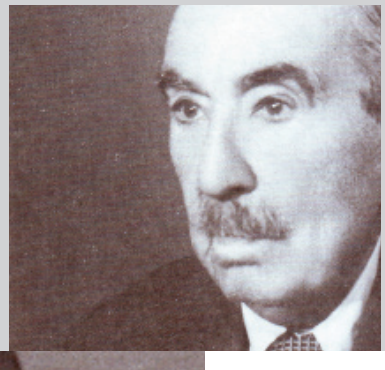

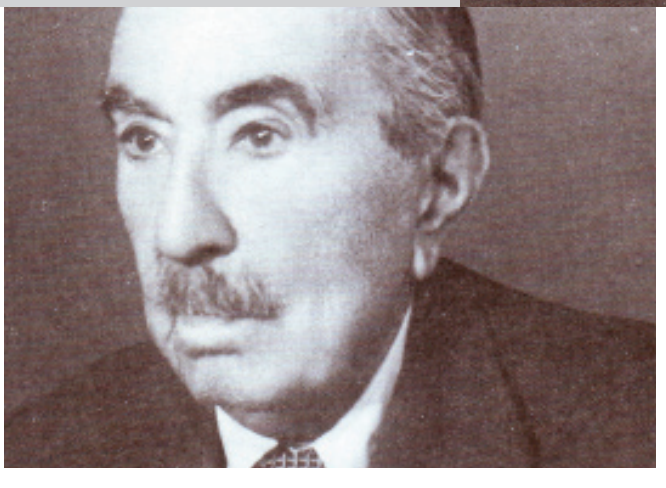

اتصل باشهر رجال السعدون في عهده ، ناصر باشا السعدون ، فقربه ونصبه امينا لامواله وحساباته حتى وفاته عام ١٨٩٣ .

يذكر الشيخ باقر الشبيبي في نبذة عن تاريخ الشطرة ، كتبها سنة ١٩١٨ :

احدث ناصر باشا السعدون ديوان الرسومات وجعل عليه الخواجا نعوم ، واتفق ان اهل احدى المقاطعات ادوا خراجهم ارزا فابتاعه نعوم انفسه وادى ثمنه الى ناصر باشا ،واختار لادخاره موضعا (انبار)على ضفة فرع من الغراف بنيت فيه الشطرة الحديثة وجعل على حراسته المدعو جاسم وهو جدعائلة ال جاسم المشهورة ، وقد اتفق ان الغراف قد امحل في سنة ١٢٨٧ هج واقحط واصابت اهل المنطقة مجاعة لن تتفق لهم في تاريخ حياتهم ودامت ثلاثة اعوام زكانت تلك المجاعة من نصيب الخواجا نعوم فباع ما لديه من الارز باثمان باهظة عادت عليه بربح فاحش كان بدء ثروته ويساره .

ونعوم اول من بنى دارا للسكنى في مدينة الناصرية ، التي اسست عام ١٢٨٦هج.١٩٦٩م ، ايام ولاية مدحت باشا ، وقيل ان تاسيسها كان تتويجا لانهاء امارة السعدون في المنتفك التي استمرت لقرون ، فبنيت وسميت باسم ناصر باشا السعدون متصرفها الاول . ومن مآثر نعوم سركيس انه حسن لناصر باشا البقعة التي شيدت عليها الشطرة الحالية . وقد كانت الشطرة القديمة تقع على جدول صغير ياخذ مياهه من نهر الغراف ، وتبعد عن موقعها الجديد نحو كيلو مترين من جهة الغرب . فلما كانت متصرفية ناصر باشا اخذ هذا الجدول بالاندراس فحولت المدينة عنه .. وبعد ان تم الاتفاق شيد نعوم دورا عديدة واسواقا وخانات ثم مسكنا له ولاتباعه وعمر بيوتا واهداها الى وجوه الشطرة القديمة ، وبنيت بعد اتمام بناء مدينة الناصرية ، وسميت بالفالحية نسبة الى فالح باشا السعدون اكبر انجال ناصر باشا (فالح هو والد الشيخ عبد الله الفالح السعدون الشخصية الكبيرة في النصف الاول من القرن العشرين ، وهو والد السيد محمد السعدون الشخصية الديمقراطية المعروفة) .

ومن الطرائف ان اهالي الشطرة كادوا ان ينتقلوا الى محلهم الجديد الى مكان آخر قبيل الاحتلال البريطاني ، واختاروا صدر نهر البدعة ، وبعد الاحتلال شرعت السلطات في حفر شط الشطرة تطهيرا له ، ثم كان بناء ناظم البدعة لتنظيم مياه شط الشطرة ، فتحسنت احوال المنطقة برمتها ، ثم انشيء سد الكوت لاحياء المنطقة جميعا .

ويذكر المؤرخ السيد عبد الرزاق الحسني في كتابه (العراق قديما وحديثا) : ان البعض ذكر ان منصور باشا السعدون ، الاخ الاكبر لناصر باشا ، كان يرى ان تاسيس الناصرية سيؤدي الى اضعاف المشيخة السعدونية والقضاء عليها . فعارض ذلك ، الا انه تجاه تصميم اخيه وعزمه على تحقيق رغبة الوالي مدحت باشا ، لم ير مندوحة من الموافقة على انشائها ، غير انه اشترط ان تشاد على منخفض من الارض تحت خطر مياه بحيرة (ابو جداحة) ، التي تخلها مياه نهر الفرات ، حتى اذا ارادت السلطة بهم سوءا سلطوا عليه مياهها واغرقوها باقل من لمح البصر ...

واستدعى المهندس البلجيكي (جولس تلي) ، فخطط المدينة تخطيطا عصريا واقام في وسطها بناية فخمة للحكومة ، وقد بقيت هذه البناية الى سنة ١٩٥٠ ، حيث هدمت ، ثم قصدها التجار والزراع والحاكة من جميع مدن العراق وعشائره . وكان اول من بنى دارا للسكنى فيها نعمة الله سركيس ، وبنى سوقا وخانات ومقاهي . كان نعمة الله (نعوم) التاجر البغدادي ، يتردد على سوق الشيوخ ويقيم فيها لشراء الاصواف وغيرها وتصديرها الى بغداد . وذلك قبل ان تبدأ مشيخة ناصر باشا السعدون بنحو عشر سنوات ، فلما كانت مشيخة ناصر باشا (الملقب بالاشقر) سنة ١٢٨٣هج ـ ١٨٦٦م ، قربه اليه واتخذه امينا له ومستشارا في بعض شؤونه ، مع بقائه على تجارته . فكان في هذه الحقبة يصدر الحبوب الى البصرة والتمور الى الهند ، وكان لمحمد الجاسم وكيل نعوم سركيس في الشطرة مذخر للحبوب (موقعه اليوم في مدخل الشطرة في جهتها الشمالية) ، فاخذ نعوم يشوق الاهلين على الانتقال الى جواره ، وشرع هو في بناء خان له مع قيسارية اهدى بعض حوانيتها الى معارفه من وجوه الشطرة ترغيبا لهم على الانتقال ، فكانت هاتان البنايتان نواة قصبة الشطرة الحديثة ، وكان ذلك في حدود سنة ١٨٧٣م .

ولد يعقوب بن نعمة الله سركيس في بغداد يوم ٢١ آب ١٨٧٦ ، ومما يؤكد سنة ولادته تلك ، قوله في مبحث عن القصر الذي كان في منطقة النجيبية ببغداد ، وقد بناه والي بغداد نجيب باشا ليكون اول وال ترك الدار التي كانت مسكنا للولاة ويقع بجوار سراي بغداد والقشلة ، فابتنى نجيب باشا قصر له خارج السور ، ويقول سركيس : وقد ادركت نصرت باشا مفتش الفيلق السادس يسكن هذا القصر في سنة ١٨٩٣ وعمري اذ ذاك سبعة عشر عاما بعد ان كان مدحت قد زاد على هذه العمارة ابنية لاقامة شاه ايران بمجيئه لبغداد . وقد ادخله والده في مدرسة القديس يوسف للاباء الكرمليين (وكانت تقع في محلة الشورجة) ، ولما تخرج فيها انتدب للتدريس فيها . غير ان وفاة ابيه ولم يبلغ السابع عشر من عمره ، كانت نقطة مهمة في حياته ، اذ تعهده عمه بولس بالرعاية ، فاخذه معه الة الشطرة للاشراف على املاك الاسرة الجسيمة هناك ، وكانت تدر اموالا طائلة . وبقي يعقوب يتردد على املاك اسرته في منطقة المنتفك باستمرار الى ان ادركته الكهولة ثم وفاته في ٢٣ كانون الاول ١٩٥٩ . وقد ذكر يعقوب في احدى مقالاته انه زار ابيه في الشطرة لاول مرة في خريف ١٨٩١ وه لم يزل يافعا .

كان الاستاذ يعقوب سركيس يفخر دوما بانه نصف بدوي لمعرفته حياة البداوة واعرافها ، ولاشك انه تعلمها من رحلاته الى جنوب العراق ، وكان كثيرا ما يردد المقولة السائرة : قطع الخشوم ولاقطع الرسوم ، يريد بذلك

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

وجوب التقيد بالاعراف والتقاليد . لقد عرف الكثير من تاريخ منطقة المنتفك واحوالها قبل ان يبدأ بتدوينها ، عندما استهوته الكتابة التاريخية بدفع من صديقه الاثير الاب انستاس ماري الكرملي .وانصرف من شبابه الى جمع الوثائق والمدونات التاريخية المختلفة ، وتوسع في هذا الامر حتى اصبحت مكتبته من اكبر المكتبات الخاصة ، ضمت نفائس المخطوطات والمطبوعات النادرة ، ولاسيما تلك التي تبحث في تاريخ العراق واحواله المختلفة . واهتم بشكل خاص لجمع كتب الرحلات الاجنبية التي سجلت الحياة العامة بما لم تسجله المظان الاخرى ، وقد راسل امهات المكتبات الغربية للحصول على مايشبع هوايته.

ولم يخطر بباله ان يكتب شيئا عن ابحاثه ومكتشفاته ونشرها ، الى ان اقنعه صديقه الكرملي ، ان يكتب في مجلته الذائعة (لغة العرب) شيئا عن المنتفك ، فكتب نبذة بعنوان : خواطر في المنتفك وديارهم ، بتوقيع مستعار ! غير ان الاب الكرملي وضع بعض الاضافات والتنقيحات على المقالة تلك ، ولم يرض سركيس على ذلك ، حتى انه لم يضمها الى مجموعته المنشورة (مباحث عراقية) . الا ان تلك الحادثة لم تمنعه عن مواصلة الدراسة والنشر ، فاستمرت بحوثه الدقيقة والطريفة منذ عام ١٩١٣ الى اواخر حياته . وقد احسن كثيرا ، عندما نهد الى جمع هذه البحوث والتحقيقات والنبذ والتعليقات في كتاب جامع ، سماه (مباحث عراقية)، صدر:

١ ــ الجزء الاول ، طبع سنة ١٩٤٨ بتقديم الشيخ محمد رضا الشبيبي ، ووضع فهارسه الاستاذ كوركيس عواد . وهو يضم مانشر في مجلة لغة العرب .

٢ ــ الجزء الثاني ، طبع سنة ١٩٥٥ ، بتقديم الاستاذ رفائيل بطي ، ووضع فهارسه الاستاذ يوسف يعقوب مسكوني . وضم المقالات في شتى الصحف والمجلات.

٣ ــ الجزء الثالث ، طبع سنة ١٩٨١ ، جمع وتحقيق الاستاذ معن حمدان علي . ومن المؤسف له ان يظهر غلاف الكتاب خاليا من اسم سركيس ، اذ توهم مصممه ان جامعه هو المؤلف.

وقد ذكر الاستاذ كوركيس عواد ان المجلدين الثالث و الرابع ، قد اعدهما سركيس للنشر قبل وفاته ، الا انهما فقدا فيما بعد . لقد تمكن الاستاذ معن حمدان من جمع ما استطاع جمعه من مقالات سركيس ليظهر لنا ـ مشكورا ـ الجزء الثالث . وهو يعد العدة لجمع الجزء الرابع ونشره بأذن الله .

ومما أود بيانه هنا ايضا:

ــ اختار المجمع العلمي العراقي الاستاذ يعقوب سركيس عضوا فخريا فيه عند تاسيسه ، وبطلب من المجمع ترجم في ايامه الاخيرة ما يتعلق ببغداد من رحلة (اوليا جلبي) مضيفا اليها تعليقات وفوائد كثيرة ، ولقد رأيت رسالة للسيد نصرت الفارسي حول هذا الموضوع . ولعل الايام تظهر لنا هذا الاثر النفيس من آثار سركيس .

ــ اتسمت طريقة كتابته البحوث التاريخية بدقة التعبير ، اذ كان يزن كل كلمة يكتبها خشية اللبس ، فقلما

نعوم سركيس

كان يعني بجمال صياغة الجمل التي يكتبها ، فلم يكن يهتم بذلك كثيرا ، بقدر اهتمامه بحشد اكبر ما يمكن من الفوائد . وكان يصرف في كتابة المقالة اياما واسابيع لمراجعة المصادر المختلفة ، وما اكثر مصادره البعيدة عن ايدي الاخرين ، فلا غرو ان تجد في كل ماكتبه اضافات اخرى على ما تجده في المصادر المتداولة . هذا فضلا عن طرافة ما يبحثه وغرابة الموضوعات التي يتناولها . لقد امتلك يعقوب سركيس بصيرة نفاذة نقادة ، تميز بين الحق والباطل وروحا علمية لا ترضى بغير التدقيق والتحقيق ومحاكمة النصوص وتمحيصها ، قبل اعطاء الرأي . وكان حريصا بما لامثيل له على الاطلاع على كل مايفيد البحث ويدفعه نحو الحقيقة ، وجلدا فائقا على وعورة الوصول الى مظان بحثه ومراجعه . وبهذه الصفات جاءت ابحاثه غزيرة المادة ، كاشفة لحقائق مجهولة من تاريخ هذه البلاد . ولا ريب ان بحوثه مكتشفاته تحمل في ثناياها عوامل البقاء والخلود ، فضلا عن اعتمادها في السنوات اللاحقة باشكال مختلفة .

ومن المؤسف ان تصبح آثاره نهبا لادعياء البحث وانصاف الاميين ممن شجعته بعض الصحف على التمادي في ذلك .

اذا طرق سركيس موضوعا تاريخيا لايكتفي بما يسهل الحصول عليه من المضان بل يرجع الى ماهو عزيز المنال مما في مكتبته الكبيرة ، او في مكتبات الاخرين ، ليشبع الموضوع تدقيقا وتوثيقا .

ــ وكان رحمه الله يستقبل منتقديه بكل حفاوة واهتمام . بل كان يعتذر لهم عن أي خطأ مهما كان صغيرا ، ويكفي هنا شاهدا على ذلك ما ذكره تعقيبا على مقال للمرحوم عبد الحميد عبادة ، صحح فيه ما كا يعتقده سركيس من ان قبر ابن الجوزي في محلة السنك ، فقال : واني لاشكر عبادة على نقده النزيه وعلى تخطئته اياي ، وكان سبب غلطي اني اعتمدت على سالنامة بغداد وعلى ما رأيته في اول مخطوط قديم ذكرته هناك . وكان الواجب علي ان ارجع الى ابن خلكان ، وليس بين المترجم والمترجم له الا قرن واحد فضلا عن ان ابن خلكان من الثقات المعلومين .

مكتبته

كون يعقوب سركيس مكتبة عامرة ، تعد من اشهر المكتبات الشخصية في الشرق . وكانت هذه المكتبة تقع في بيته المطل عل دجلة في محلة المربعة غير بعيد عن جامع ومرقد السيد سلطان علي . وقد اوصى قبل وفاته ان تهدى هذه المكتبة الى جامع الحكمة (الاهلية) في بغداد ، ثم آلت بعد الغاء الجامعة الى مكتبة المتحف العراقي . وقد قام الاستاذ كوركيس عواد بوضع فهرس تفصيلي بمخطوطات الاستاذ سركيس عام ١٩٦٦ . اما المطبوعات فق حفظ النادر والنفيس في مكتبة المتحف في بغداد ونقل القسم الاخر الى مكتبة متحف كركوك .

ومن الذخائر الخطية في مكتبته ، وقد افادته كثيرا في بحوثه ، ما وجده في صندوق آل عبود اخواله ، ولندعه يصف لنا هذه اللقية : وجدت في دار لطف الله عبود (ت١٩٤٧) صندوقا

بولس سركيس

، طوله متر وعرضه نحو نصف متر ، وكذلك ارتفاعه وهو مملوء رسائل كان قد بعث بها اجداد اسرته الكريمة ، بعضهم الى بعض من حلب و بغداد والبصرة وغيرها ، بقصد التجارة ، وفيه اوراق تجارية مختلفة تتعلق باواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ... وذكر اصحابها في سياق كلامهم حوادث ووقائع متنوعة . وما هذه الدفينة الا جزءا ضعيفا من اوراق التهمتها نار شبت في ٢ تشرين الاول ١٩٠٨ في خان لطف الله عبود فاحرقت ما فيه . وهذه الاوراق المحترقة كان ينوف قدرها على نحو عشرين صندوقا كصندوقنا الباقي ..

ويبدو ان هذه الذخيرة الوثائقية ضمت اوراقا ادبية وتاريخية مختلفة ، منها كما اشار اليها سركيس في مباحثه قصائد شعرية ورسائل شخصية واوراق تجارية و سواها .

مقالاته

ان اول مقالة نشرها سركيس كانت (خواطر في المنتفك وديارهم) ، نشرها بتوقيع مستعار هو (منتفكي) في مجلة لغة العرب (السنة الثانية ١٩١٣) ، وهي ملاحظات على مقالة للشيخ محمد رضا الشبيبي في المجلة نفسها . الا انه طواها ولم ينشرها في (مباحث عراقية) . وقد ذكر فيما بعد ان يدا تلاعبت بها فشوهت بعض ما اراده ، وبقصد هنا يد الاب انستاس ماري الكرملي صاحب المجلة . غير انه تابع مباحثه في المجلة ، فنشر في السنة نفسها مقالا ممتعا عن سعدون باشا السعدون ، وصف فيه المترجم له وصفا دقيقا لامثيل له . وبعدها شرع بتسطير بحوثه الشلئقة عن النتفق معتمدا على وثائق نادرة . ويبدو انه اهتم بالمسائل التاريخية والاثارية ، بدأ منذ فترة مبكرة ، فقد ذكر في مقال له سنة ١٩٣١ ، انه لما كان تلميذا في مدرسة الاباء الكرمليين سنة ١٨٩١ ، وهو في السادسة عشر من عمره ، رغب في زيارة والده في الشطرة ، فذهب اليه على طريق الكوت . وعند عودته طلب من والده ان يسمح له بأن يحيد بضعة كيلو مترات عن الطريق التي سلكها في المجيء ليتفقد الاثار التي بعثت من مدافنها في تلك المناطق .

لقد طرق سركيس في مقالاته قضايا نادرة وطريفة من تاريخنا المنسي . ومن طرائف مقالاته اكتشافه عندما احتفل بتكريم اللاب الكرملي عام ١٩٢٨ في دار عبد المحسن السعدون ، رئيس الوزراء ، بتقديمه بحثا عن سعدونى كرم كرمليا في اوائل القرن الثامن عشر ، اعتمادا على سجل قديم للبعثة الكرملية في البصرة .

ومن بحوثه ومكتشفاته التاريخية الطريفة والنادرة : صاحب اول رحلة شرقية عراقية الى اميركة سنة ١٦٦٨ ، وآخر العهد بضرب النقود العثمانية في العراق ، والعرجاء قصبة المنتفق قبل ثلاثة قرون ، وتعريب الانجيل في العهد العباسي ، وموضع مقتل المتنبي ، ومبدأ زراعة بعض الخضر والفواكه في بغداد والعراق ، ومبدأ دخول التتن الى العراق ، ومبدأ دخول القهوة واول مقهى في العراق ، وحقيقة طاووس اليزيدية ، وغيرها من البحوث والتعليقات والنبذ الكثيرة.

رافدين
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

مقال نادر ليعقوب سركيس

طاق كسرى ..

انهيار قسم منه في 15 نيسان 1887

يشهد بقاء قسم كبير من هذا الاثر الذي كان يسمى ايوان كسرى في تاريخنا والذي نسميه اليوم طاق كسرى، ما كان عليه فن الريازة من رقي عال في تلك العصور البعيدة. ولست بصدد الكتابة عن تلك العمارة الا ما طرأ عليها في ربيع سنة 1887 من رسوم هذا الاثر التي صورت قبل ربيع تلك السنة رسم لديلافرا في كتابه (الفن القديم الفارسي) وهو يرينا انه كان على غير ما عليه الان (انظر التصوير السابق واللاحق خلال المقال) فمتى طرأ عليه ما جعله في حالته الحاضرة؟

ان من الذين تكلموا على هذا الاثر المس بيل في كتابها (من مراد الى مراد) (ص١٢٩ ح) فذكرت حالته التي رأتها ديولافوا من دون ان تذكر ما طرأ عليه بعدئذ ولا يعني سكوتها عن ذلك اغفال غيرها لهذا الامر. فقد جاء في كتيب لروتر (ص١٨) ان السقوط كان في سنة ١٨٨٨. اما بدج فيظن ان انهيار احد جناحي هذا الاثر كان في نحو ١٨٨٣ (كتابه على ضفاف النيل ودجلة ١:١٧٨) وقد وجدت في كتاب الفرات ودجلة لساري وهرسفلد (٢:٦٨) قولهما: "لقد شاهد كولدوي في سنة ١٨٨٧ واجهة طاق كسرى بحالة كاملة (وقال انظر اللوح ٤٢) وان الجناح الايمن لهذه الواجهة انهار في سنة ١٨٨٨ وتداعت الواجهة كلها. ونرى اليوم الجناح الايسر يهدده السقوط والانهيار".

ويظهر ان اقدم من اعلمنا بهذا الانهيار مع بيان السبب هو الاب انستاس الكرملي فانه قال ذلك في مجلة المشرق (٥ "١٩٠٢" ٨٤٠) في اخر نبذة له عنوانها "سلوان الاسرى في طاق كسرى" وهذا كلامه.

"اما المائل الباقي منه (من هذا البناء) فهو جزء من الطاق وجناح واحد من الحائط ماسك بيد العقد. واما الجناح الاخر فقد انهار في ١٥ نيسان ١٨٨٨ وتزعزعت بعض الاركان وجرت المياه جانبا عظيما من حجارة ذلك البنيان...".

لقد صدق الاب في قوله ان الانهيار كان في ١٥ نيسان ولكن لم يكن في السنة التي نوه بها وهي التي ذكرها منه ساري وهرسفلد عن كولدوي فان التاريخ الصحيح للسنة ١٨٨٧ . فان كانت زيارة كولدوي لهذا الاثر في سنة ١٨٨٧ كما قال هذان الاثاريان – ساري وهرسفلد – فهي قبل ١٥ نيسان.

وكان هذا الانهيار في السنة نفسها على ما هو مدون كتابة غداة يوم الحادثة كما سنرى. ولعل تعيين كولدوي سنة السقوط منقول عن كلام الاب الوارد في المشرق. واظن ان هذا الاب لم يكن في بغداد في تلك السنة بل كان في بيروت لاتمام دراسته عند الاباء اليسوعيين ثم للسفر الى اوروبا فيكون هو ناقلا للخبر بعد رجوعه الى بغداد عن راو او عن مصدر مكتوب لكنه مغلوط فيه بيان السنة كما سيتضح الامر جليا.

اكتفيت بهذا التحقيق لاقول الكلمة الصحيحة على السنة واليوم الذي انهار فيه قسم من هذا الصرح نقلا عن جوزيف زفوبودا كما سيجئ واذن بعد مراجعتي لكتاب بدج كما مر بنا وكنت استرشدت فهرسته فهداني الى الصفحات التي ذكر فيها الانهيار، اجده امامي بعد ذلك بايام معدودة في مكتبة "المتحف

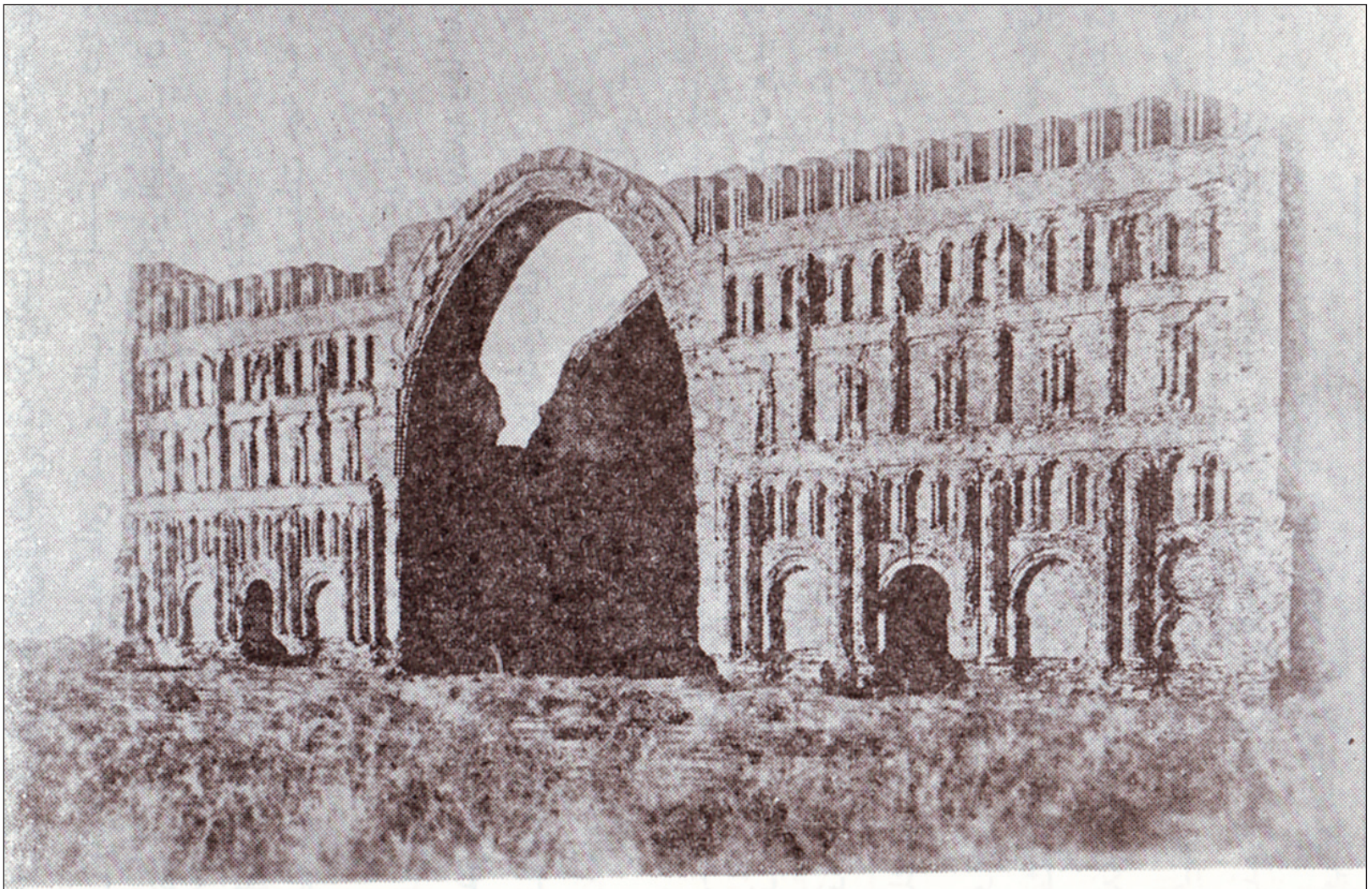

طاق كسرى قبل سنة ١٨٨٧

العراقي" ورافق في فتحي اياه ان وقعت مقدمته تحت نظري وفيها قول المؤلف انه بعد وصفه لطاق كسرى طلب من المستر هولن وزوجته ان يحققا في بغداد زمن ما سقط منه مع بيان السبب وكان الجواب ان المتوفي زفوبودا كان قد ابان انهيار نصف هذا الطاق في ربيع ١٨٨٧ بسبب فيضان دجلة فيضانا مفرطا وقد غمر الطاق (ارض الطاق) فسقطت جهة منه.

سبق اني قلت صدق كلام الاب ان الانهيار في ١٥ نيسان واقول الان صدق ما عرفه بدج عن زفوبودا ان ذلك كان في ربيع سنة ١٨٨٧ وها انذا اسند هذه الصحة الى الكلام جوزيف زفوبودا المدون في يوميته.

كان جوزيف زفو بودا كاتب (مجيدية) احدى بواخر شركة الفرات ودجلة لسير البوخر المحدودة المعروفة عند الاهلين بـ "مراكب بيت لنج" وكان هذا الكاتب يختلف بمقتضى وظيفته بين بغداد والبصرة ويدون يوميا تصرفاته الذاتية بتفاصيل كثيرة دقيقة مملة جدا وكل ما يحدث له وما يسمعه ويطلع عليه ذلك من السنة ٨٨٦٢ حتى ١٧ كانون الثاني ١٩٠٨. وكانت وفاته بعد ذلك بيومين. ومجموعة يومياته واحدة وستون دفترا بشكل سفينة صفحاتها بقطع الكف وهي الوف كثيرة. ومما رواه فيضان دجلة فيضانا مفرطا في نيسان ١٨٨٧ واحاطة المياه ببغداد حتى ابوابها من غير ذلك من تفاصيل الغرق. هذا وبينما كانت باخرته راسية في بغداد قدمت اليها الباخرة "خليفة" وهي كذلك لهذه الشركة فاخبره كاتبها اخوه بانهيار قسم من هذا الايوان. وقد دون ما يلي في يوميته وهي مكتوبة كلها بالانكليزية..

"١٦ نيسان ١٨٨٧ يوم السبت، قدمت الباخرة خليفة بعد الزوال بربع ساعة وجاء الى باخرتنا هنري ونقل لي انهيار طاق "طيسفون" . وقد رأى اليوم صباحا واجهته والجدار كله من المدخل الى البهو فالشمال قد سقط على الارض. وسبب انهيار هذا القسم المتداعي فيضان النهر ووصول الماء اليه وهطول الامطار الخ... ان المؤسف حقا ان نخسر هذا المنظر الجميل والاثر القديم الوحيد الباقي في ما بين النهرين. ولكن مما يسرني ان عندي صورة لجبهته وللخلف صورت في سنة ١٨٧١. واظن ان فتح خياط كان معي" . ثم قال بعد ان بارحت الباخرة بغداد في اليوم التالي:

"في ١٧ منه يوم الاحد انزلنا في الساعة الثامنة اربعة نوتية ونجارا عند طاق كسرى ليذهبوا اليه ويحاولوا الحصول على قطع الخشب من القسم المنهار.. وفي الساعة الثانية والدقيقة ٥٥ وصلنا الى "الصافي" وانتظرنا الرجال الذين انزلناهم فجاؤا سورنا في الساعة التاسعة والنصف وقالوا انهم رأوا قطعتين كبيرتين من الخشب طول كل منهما نحو ١٢ قدما وان العرب منعوهم من اخذهما لانهما محفوظتان للمدير (مدير الناحية) والمتولي لقبر سلمان الفارسي.. ويقول العرب ان الانهيار كان يوم الجمعة ليلا في نحو الساعة ١١ وسمع له صوت مربع" .

"في اول ايار يوم الاحد. في الساعة الخامسة والدقيقة ٣٥ انزلنا حسن افندي واخاه عند قطيسيفون ووعدنا بالحصول على قطع من خشب الطاق" .

"٢٠ ايار يوم الجمعة. انزلنا في الساعة السادسة بعد الزوال في البستان نوتيين وكتب الى حسن افندي بشأن الخشب ثم وقفنا عند الطاق بقرب حذيفه (اليماني) وقد قدم النوتيان ومعهما قطعة كبيرة من الخشب طولها نحو عشرة اقدام وثخنها نحو عشرة انجات وشكلها غير منتظم وعلى ان اقسمها بيني وبين الربان كاولي.." .

"٢٦ ايار (وهو في بغداد) يوم الاربعاء.. عهدت الى عيسى القفه جي ان يذهب غدا صباحا الى طاق كسرى راكبا حمارا لجلب قطعة من الخشب وزودته برسالة الى حسن افندي." .

فالظاهر ان صاحبنا زفو بودا لم يكتف بالقطعة التي كانت وصلت اليه قبلا وانه طلب المزيد. وليس في يوميته ما ينبيء بالنتيجة التي عهدها الى عيسى. وكان بلغني من ذويه انه عمل من هذا الخشب ادوات صغيرة. هذا ما اردت بيانه بصدد لتاريخ الذي انهار فيه قسم من هذا الاثر القديم مع بعض التفصيلات.

عن كتابه (مباحث عراقية)

«16 نيسان 1887 يوم السبت، قدمت الباخرة خليفة بعد الزوال بربع ساعة وجاء الى باخرتنا هنري ونقل لي انهيار طاق «طيسفون» . وقد رأى اليوم صباحا واجهته والجدار كله من المدخل الى البهو فالشمال قد سقط على الارض. وسبب انهيار هذا القسم المتداعي فيضان النهر ووصول الماء اليه وهطول الامطار الخ... ان المؤسف حقا ان نخسر هذا المنظر الجميل والاثر القديم الوحيد الباقي في ما بين النهرين.

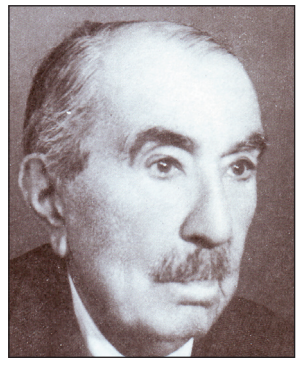

يعقوب سركيس وكتابة التاريخ

د. إبراهيم خليل العلاف

أستاذ التاريخ الحديث – جامعة الموصل

بقدر ما يتعلق الأمر بالعراق، تستطيع تلمس أثار نظرتين مختلفتين إلى الدولة العثمانية في الكتابات المتوفرة عن العصر العثماني. فالنظرة الأولى ترى أن العثمانيين مسؤولون عما لحق بالعرب من فقر وتخلف وظلم وجمود وعزلة. أما النظرة الثانية، فتقوم على أساس أن تاريخ العثمانيين تعرض لأسباب مختلفة، منها سياسة ومنها أيدلوجية، إلى كثير من حملات التشهير من مصادر متعددة ، ولا بد من أعادة النظر في هذا التاريخ وأنصافه أو دراسته بموضوعية ودقة والتمييز بين عهديه الأول والثاني ، والفترة الأخيرة من العهد الثالث، أي فترة حكم الاتحاديين الممتدة من ١٩٠٨ إلى ١٩١٨ والتي تميزت بسيادة نظرتهم المتعصبة ضد العرب وغيرهم من العناصر غير التركية.

يمكن تصنيف الكتابات العراقية عن العصر العثماني إلى صنفين رئيسيين، هما: كتابان الرواد من غير المتخصصين بعلم التاريخ ودراسات المؤرخين الاكاديمين. ففيما يتصل بالصنف الأول يأتي الأب انستاس الكرملي في مقدمة من ألف كتابا عن التاريخ العراقي العام وفيه هاجم العصر العثماني وعدة من العصور المظلمة في تاريخ العراق. ويبدو أن قيام الكرملي سنة ١٩١٩ بتأليف كتاب: خلاصة تاريخ العراق منذ نشوته إلى يومنا هذا كان بإيعاز من السلطات البريطانية المحتلة للعراق، والهدف هو أظهار العثمانيين بمظهر المسؤول عن تخلف وفقر العراق، والإيحاء بان الانكليز هم الذين سيقومون بتخليص العراق من الظلم والتخلف وفي سنة ١٩٢٣ كرس المطران، سليمان صائغ الموصلي جانبا من كتابه "تاريخ الموصل" وهو بثلاثة أجزاء طبعها في القاهرة، لنتناول أحداث الموصل في العصر العثماني،مع متابعة للحياة العلمية والفكرية فيها أبان هذا العصر، ولم يختلف تقويم صانع الدولة العثمانية وحكمها في العراق، عن تقويم سلفه الكرملي.

وفي سنة ١٩٢٦ أصدر درويش المقدادي وهو مفكر وتربوي فلسطيني عاش في العراق ودرس في المدارس العراقية منذ العشرينات، كتابا مدرسيا بعنوان: "تاريخ الأمة العربية" ، قسم فيه عصور الغزاة المظلمة التي عاشها العرب إلى ثلاثة مراحل، ومن هذه المراحل ، المرحلة الثانية التي بدأمع السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦ وتنتهي بغزو فرنسا لمصر سنة ١٧٩٨، وقد أطلق على هذه المرحلة مصطلح مرحلة الغفلة وهي تقع بين مرحلة النكبة وتبدأ مع سقوط بغداد سنة ١٢٥٨ إلى سنة ١٥١٧، ومرحلة اليقظة التي تبدأ من غزو فرنسا لمصر وإثارتها لمشاعر العرب القومية، حتى سنة ١٩١٨ حين استكمل الغرب تقسيم خارطة الوطن العربي وبدأ بتحويله إلى مستعمرات تابعة له.

وكرس محمود شكري الالوسي(ت١٩٢٤) جهده لترجمة جماعة من أدباء عصره وشعراته ومعظمهم ينتمي إلى الأسر العلمية المعروفة ببغداد آنذاك، كال الالوسي وال السويدي وال الطبقجلي وال الصواف وال الادهمي. وقد طبع القسم الأول من الكتاب بعنوان: "المسك الادغر في تراجم علماء القرنين الثاني عشر والثالث عشر" ، ببغداد ١٩٣٠. وخلال السنوات ١٩٣٨و ١٩٤٠ صدرت مجموعة من الكتب المدرسية التي تتناول تاريخ الشرق الأدنى الحديث وهو المصطلح الذي كان يطلق على تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني .. ومن هذه الكتب: كتاب. خالد الهاشمي" تاريخ الشرق الأدنى الحديث" (بغداد، ١٩٣٨) وكتاب عبد المطلب الأمين بالعنوان ذاته(بغداد، ١٩٤٠).

وحين صدر كتاب ستيفن همسلي لونكريك وهو احد الضباط السياسيين الذين رافقوا الحملة البريطانية إلى العراق سنة ١٩١٤ في لندن بعنوان: " أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث" ، أقدم الأستاذ جعفر خياط سنة ١٩٤١ على ترجمة الكتاب بعد أن اظهر أسفه، لان ينبري لكتابة تاريخ العراق رجل أجنبي، وبلغة أجنبية، ومع أن الكتاب يعبر عن وجهة نظر بريطانية في العصر العثماني، ألا انه بحق كتاب عام وشامل لتاريخ العراق الحديث، اعتمد فيه مؤلفه على مجاميع كبيرة من المصادر والمخطوطات العربية والتركية والمغاربية، هذا فضلا عن كتب الرحلات المختلفة ، وليس غريبا القول أن عددا من الباحثين العراقيين، أبرزهم يعقوب سركيس، ساعدوه في تأليف الكتاب وزودوه بالعديد منا لمصادر وسهلوا عليه فهم كثير من غوامض تاريخ العراق وتعقيداته.

ولعوامل عديدة، يتعلق بعضها، بتنامي الوعي القومي العربي، وتطور الحركة الوطنية وظهور الأفكار الديمقراطية وبروز دور المثقفين العراقيين، فقد بدأت ملامح حركة جديدة في كتابة التاريخ في العراق، تأخذ منحى وطنيا يقوم على تسجيل وقائع التاريخ وعرضها بشكل مجرد تنقصه المنهجية التاريخية العلمية لكنه لايخلومن رؤية متميزة ويمكن في هذا الصدد الإشارة بشكل واضح إلى ماكتبه عباس العزاوي، وخاصة كتابه: تاريخ العراق بين احتلا لين، الذي صدريين سنتي ١٩٣٩و ١٩٥٦ بثمانية أجزاء ، ومع انه اعتمد طريقه الحوليات، واقتصر على تناول البعد السياسي من العملية التاريخية في أكثر الأحيان ، لكن الرجل سرعان ماأقدم على سد بعض الثغرات في كتابه، فاصدر مؤلفات عديدة من عشائر العراق في أربعة أجزاء(١٩٣٧)-١٩٥٦) وتاريخ النقود العراقية(بغداد، ١٩٥٨) وتاريخ الضرائب العراقية (بغداد ١٩٥٩). هذا فضلا عن كتب ودراسات أخرى له عن طوائف العراق والأدب في العراق والعلماء والحركة العلمية والتاريخية في العراق (٨) وبصورة عامة ، فان مؤلفات الأستاذ الرائد عباس العزاوي تشكل مجموعة قيمة من المعطيات المتعلقة بتاريخ العراق الحديث، آذ أنها هيأت مادة خام للباحثين وطلبة الدراسات العليا ، وتناولوها بالبحث والتحليل.

ومنذ أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات، قام يعقوب سركيس وهو باحث مختص "بكتابة سلسلة من المقالات والدراسات القيمة عن فترات مختلفة من تاريخ العراق العثماني وجغرافيته وخططه وأثاره في مجالات عديدة ثم جمعت في كتاب يحمل عنوان: مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ. وقد صدر الكتاب بثلاثة أجزاء في بغداد بين سنتي ١٩٤٨و١٩٨١.

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

في رثاء يعقوب سركيس

امضي وتبقى صورتي فتعجبوا
تمضي الحقائق والرسوم تدوم

اهدانا المرحوم الاستاذ الباحثة المحقق يعقوب سركيس صورته قبل ثلاث سنوات فكتب عليها هذا البيت من نظم ناصيف اليازجي ولم تمضض على ذلك اشهر قليلة حتى اعياه الصمم واوصاب الشيخوخة فاعتكف في داره منقطعا عن اصدقائه مخلداً الى وحشته وانفراده، ووافته منيته راضياً مرضيا في مساء الاربعاء ٢٣ كانون الاول ١٩٥٩ قبيل منتصف الليل، وبذلك انطوت صفحة ناصعة من صفحات الحياة الانسانية، صفحة حياة شيخ وقور انصرف الى البحث والتحقيق، ودون صحائف مجهولة من تأريخ وادي الرافدين، وجمع خزانة كتب فريدة حافلة بنفائس المخطوطات والمطبوعات.

ولد يعقوب نعوم سركيس في بغداد في ٢١ آب ١٨٧٦ من اسرة حلبية الاصل ودرس في مدرسة القديس يوسف للاتين فتعلم العربية والفرنسية والتركية، ولما تخرج من مدرسته عهد اليه بالتدريس فيها امداً وجيزا في محل احد المعلمين الغائبين ثم الحقه ابوه بعمل كتابي في بعض البيوتات التجارية ليتعلم المراسلة والمعاملات. ولم يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى توفي ابوه نعوم سركيس، وكان ملتزما لمقاطعات في انحاء المنتفك وملاكا فيها، فتعهده عمه بولس واخذه معه الى الشطرة للاشراف على مزارع الاسرة.

ومنذ ذلك الحين امضى فقيدنا اربعين سنة او نحوها يخرج في كل سنة الى انحاء الشطرة والحي وقلعة سكر والناصرية، ليعيش اشهرا في الخيام او الدور القروية متعهدا املاكه وزراعته، ولم يشذ عن تلك القاعدة إلا في سني الحرب العالمية الاولى وبعض السنوات الاخرى، ثم انصرف عنها بعد ان اجتاز سن الكهولة، وكثيرا ما كان يفخر بانه نصف بدوي او فلاح لفضائله معظم ايام حياته في القرى والارياف، واعتياده معيشة الخيام وركب الخيل ومجالسة الزراع ورجال العشائر ومعرفته بعاداتهم واذابهم واهازيجهم وكان محافظا يلزم نفسه بالتقاليد القديمة ويقول في كل مناسبة تعرض: قطع الخشوم ولا قطع الرسوم. يريد بذلك وجوب التقيد بالاصول والرسوم ولو ادى ذلك الى جدع الانوف والارهاق والاذى.

وكذلك اصبح يعقوب سركيس قطعة من تربة الوطن وجزءاً لا يتجزأ من تاريخه قبل ان يتصدى لتدوين صحائف من احداثه وشؤون رجاله وبقاعه، وقد ورث من آله ميلا الى جمع الوثائق والرسائل والمخطوطات فانصرف الى هذه الهواية منذ نعومة اظفاره ثم استبدت به هذه الهواية فجمع خزانة كتب ضخمة ضمت نفائس لم يتيسر اقتناؤها الا ببذل المال الوفير وانفاق سنين تربو على الخمسين، وقد حدثني مرارا عن المتاعب التي لقيها في شراء الكتب لاسيما في صدر شبابه في اثناء عهد الاستبداد الحميدي، فلقد كان يبيع عدد كبير من الكتب ودوائر المعارف محظورا لاحتوائها على مباحث في الحريات والنظريات الاجتماعية والاقتصادية، واضطر الشاب يعقوب سركيس ان يكلف صديقا له زار اوروبا في مطلع القرن الحاضر – وكانت تلك الرحلة من الاحداث النادرة انذاك – كلفه بتهريب نسخة من (دائرة المعارف الفرنسية) ليضمها الى مكتبته، وبقي بحاثتنا يحتفظ بهذه النسخة ويحرص عليها الى آخر حياته.

وقد اشرف بحاثتنا على الاربعين من عمره دون ان تخطر الكتابة بباله، ثم اصدر المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي مجلته (لغة العرب) فشجعه على تدوين معلوماته عن المنتفك. فكتب نبذة عنوانها: (خواطر في المنتفك وديارهم) بتوقيع مستعار، لكن يد الاب تناولت هذه النبذة بالتنقيح والتصحيح حتى (شوهتها "١") فطواها يعقوب سركيس واغفل نشرها في مجموعته.

بيد ان تلك النبذة كانت فاتحة عهد جديد في حياة الاستاذ يعقوب، فقد واصل الكتابة منذ سنة ١٩١٣ ونشر مقالاته وبحوثه الممتعة في مجلات وصحف عديدة (مجلة لغة العرب) و(غرفة تجارة بغداد) و(النجم) الموصلية، و(الاعتدال) النجفية و(الادب والفن) اللندنية، و(عالم الغد) و(البيان) و(الجزيرة) و(سومر) و(النور) و(المجمع العلمي العراقي) وجريدة (البلاد) و(الزمان) و(العراق) و(الاخبار) و(الشعب) و(الطريق) و(الاوقات) العراقية وغيرها.

وقام بعد الحاح شديد من اصدقائه يجمع مقالاته في كتاب (مباحث عراقية) في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد.. الخ، فاصدر القسم الاول سنة ١٩٤٨ بتقديم الاستاذ محمد رضا الشبيبي واردفه بالقسم الثاني سنة ١٩٥٥ وقد قدمه المرحوم الاستاذ رفائيل بطي، وقد تضمن هذان الجزآن اغلب كتاباته الى سنة ١٩٤٨ ولم يمهله الزمن لجمع سائل كتاباته.

وقد اختاره المجمع العلمي العراقي عند تأسيسه عضوا فخريا فكتب مقالات نفيسة في مجلة المجمع، اهمها بحثه في النقود العراقية الذي جاء بشكل تعليق على كتاب الاب انستاس الكرملي في (النقود العراقية وعلم النميات) وهو بحث يشكل كتابا متوسطا قائما بذاته، وترجم يعقوب سركيس في اخريات ايامه الفصول المتعلقة ببغداد من رحلة اوليا جلبي نقلها عن اللغة التركية وشرع بكتابة الحواشي والتعليقات مما قدر له ان يتجاوز المتن لكن الزمن لم يسعفه لانجازها.

وطريقته في الكتابة والبحث مراعاة الدقة وتحري التفصيل لذلك كان يصرف في كتابة البحث او المقالة اياما واسابيع ليراجع المصادر وينقل النصوص ويزن كل كلمة وعبارة خشية مجانبة الحق او اساءة التعبير، وقلما كان يعني بطلاوة الاسلوب وجمال الصياغة اذ لم يكن يعتبر نفسه ادبيا وانما كل يرمي الى الافادة دون ان يهمه الامتاع، وكنت اعرض عليه احيانا شيئا من شعري او كتاباتي الادبية فكان يقرؤها بامعان ثم يقول متواضعا بصراحته المعهودة: "امل هذا جيد ولكنني لا استطيع الحكم". او ما كان في هذا المعنى، ومن امثلة دقته انه كتب ذات يوم يرد على بعض الادباء في موضوع تاريخي فاشار الى اسم الكاتب بقوله: "فلان الملقب نفسه بالفلاني" فلما سألته لما ذا لم يكتب فلانا الفلاني كما هو المألوف؟ قال: (إن هذا الرجل يدعى الانتساب الى قوم مضوا فاذا ذكرت اسمه على علاته حسب ذلك اقراراً مني بنسبه).

ولقد تحدثت قبل سنوات طويلة عن يعقوب سركيس البحاثة المؤرخ فقلت: (حظي سركيس بالصفات المطلوبة في المؤرخ المحقق فاولع منذ حداثته تتبع الاخبار واستقصاه الانباء، واوتي جلداً على التمحيص والتنقيب، ومعرفة بلغات تعين على الاستقراء والاستطلاع، وبصيرة نقادة تحاكم الوقائع وتميز بين المعقول والمختلق، وغيرة على الحقيقة لا نرضى عن لصدق بديلا، وروحاً عليما ينزع الى التدقيق والتحقيق يذلل الصعاب ويهزأ بالنصب والعناء، ورزق الى جانب ذلك قلما ان يكن رزين العبارة غير مشرق الديباجة فانه واضح الاسلوب قريب المتناول، بعيد عن التعسف والتكلف، لائق بالبحث العلمي التاريخي).

(اختص الاستاذ سركيس بعهود مجهولة من تأريخ هذه البلاد واتيح له ان يجمع وثائق ومخطوطات نادرة ثمينة ذات صلة بهذه الحقبة من الزمن، وان يرث من اسرته اوراقا يرجع اقدمها الى نيف ومائة سنة ويحوي بعضها معلومات ذات شأن لم ترد في مرجع معروف، ويفسر وجودها هذا الميل المتأصل في نفسه الى التحقيق والتدوين، ومن اثمن ماضمته مكتبته مجموعة كبيرة منقطعة النظير من الرحلات الى العراق لمختلف الرحالين الذين اموا هذه البلاد منذ اقدم العصور حتى عهدنا الحاضر، وهذه المجموعة التي بذل صاحبها في سبيل الحصول عليها جهدا ومالا وفيرين كتبت بلغات مختلفة، وفيها المخطوط والمطبوع ومعظمها نادر عسير التطلاب، واذا كان بحاثتنا قد جد في طلب هذه المصادر القليلة الشهرة وانعم النظر في ثناياها فلا يدع ان جاءت ابحاثه غزيرة المادة طريفة الموضوع كاشفة لمناخ مجهولة من تأريخ هذه البلاد في الازمنة الاخيرة، ولا شك ان هذه الابحاث سوف تبقى اسانيد تاريخية جليلة القدر كبيرة القيمة..). لقد عرفت الراحل الفاضل من عشرين سنة، ونعمت بصحبته وتمتعت باحاديثه وافدت من علمه وفضله، وطالعت من مكنونات خزانته ما شئت ورغبت، فوجدته – على ما بيننا من فارق في السن – نعم الصديق الوفي الكريم والرجل المهذب الوقور، والعالم المتخلق بافضل الاخلاق، والمتبع لسنين العدالة والحق والمتسم بالرصانة والصراحة والصدق. لقد كان عصاميا بالرغم من ثروته وجاهه، وكان معتدلا في كل اموره مبتعدا عن التفريط والافراط، وكان حليما واسع الصدر، متواضعاً للصغير والكبير فيالاسفيعلى فقده، ويالللوعتي وأساي على وفاته، ان الجيل الذي انجبه قد مضى وانطوى في ذمة التاريخ، وقد بقى فقيدنا الكريم الى آخر ايامه مثالا حيا لابائنا الجادين الاخيار البسطاء، وانموذجا طيبا لاحسن صفاتهم وشمائلهم، فيا ايها الشيخ النبيل والراحل الفاضل الجليل لقد آلمني المصاب وأخر سني الحزن الوشجن، فما ذا اقول في تأبينك؟ وكيف اثني عليك وأعدد ماشهدت من مزاياك وسجاياك؟ انك في نفوس عارفيك مأثور الفضل، منشورة الذكر، وقديما قال المتنبي:

كفل الثناء له يرد حياته
لما انطوى فكأنه منشور

هذا المقال نشرته مجلة المعارف / النجف (أيار 1969)

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

هكذا عرفت يعقوب سركيس

رفائيل بطي
اديب وصحفي رائد

في الايام الاولى لتلمذتي لشيخي الاب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩١٩ وجدت بين المترددين عليه، المستضيئين بمشكاته، رجلا يتمتع بكهولة ناشطة، في جلسته وكلامه ما ينم على زكاء منبت، وادب درس، ومع انه لم يكن فياضا في احاديثه، ولا متأنقا في تعابيره، فان افاداته وتعاليقه في مجلس الاستذ، تفصح عن اطلاع واسع، وتشير الى تثبيت في مراجع مجهولة للكثيرين من طلاب الفوائد، وشهد لي الاب في غيابه بانه "خير محقق للموضوعات التي يتناولها وهو مشغول بتقصي احوال الفترة الغامضة من تأريخ العراق، في القرون الاخيرة".

وقد عزز العلامة الكرملي هذه الشهادة الشفوية بما كتبه عنه في مجلته ذيلا لمقالة له في "اليزيدية" قال الاب:

"وللاديب، ناشر هذه المقالة النفيسة، مقالات ظهر وشيها في هذه المجلة وفي غيرها، تدل على علو كعبه، في تقلية الاحداث والوقائع، ولا يتكلم الا عن امعان في التحقيق والتدقيق. كما سجل الباحث المحقق نفسه، (استفادته من الاب انستاس وتلمذه له في معالجة البحث، وحثه على الكتابة في صحيفته معترفا بأنه صحح له اغلاطا ودر به بالصحيح).

ثم اتصلت اسباب المودة من ذلك الحين، بيني وبين الاستاذ يعقوب نعوم سركيس ورحت اقرأ دراساته العميقة، ومقالاته الضافية الذيول ، فاجد فيها مادة لا يجدها الراغب في مظان اخرى، عند بحاث الشرق او الغرب.

ولقد اسعف الرجل فوق ولعه بالدرس والتمحيص يساره، اذ هو عميد اسرة غنية تملك – ارثا وانتقالا – عقارات واراضي ولاسيما في اقليم المنتفق، فعاونته سعته على ان يجمع لنفسه خزانة فريدة بيت خزائن الكتب، ليس في العراق وحده، بل في كثير من البلاد، حوت النادر من المخطوط، والوافر من المطبوع، في اللغات العربية والكردية والصابئية والتركية والارمية والفرنسية والانكليزية والالمانية والايطالية والبرتغالية والهولندية والاسبانية واللاتينية وغيرها. والصفة البارزة لمكتبته انها تضم جل ما كتبه الرحالون والسياح من الافرنج والاغراب عن بلاد الرافدين على اختلاف مراكزهم وجنسياتهم ولغاتهم، يضاف اليها مخطوطات يتيمات، فهو يستشير اثار هؤلاء الكتاب في ما يريد التعرض له من المباحث، فاذا لم يكن يعرف لغة المؤلف استعان بمن يجيدها، يترجم له او يلخص مأربه من صحائف الكتاب، فزاد في الالسن الثلاثة التي يحسنها: العربية والتركية والفرنسية – وشيء من الانكليزية – السنة اخرى بالواسطة.

ولي ان اسجل بهذا الصدد ان المستر S.H. Longrigg قد اعتمد اكثر ما اعتمد على خزانة يعقوب سركيس عندما اشتغل في وضع كتابه الفذ Four Centuries of modern Iraq في خلال عمله موظفا في الحكومة المحتلة البريطانية اولا، وفي الحكومة العراقية بعدها.

ولد يعقوب في بغداد في الواحد والعشرين من شهر آب سنة ١٨٧٦ وفي موطنه تعلم منخرطا في سلك طلاب مدرسة القديس يوسف للاباء الكرمليين حتى تخرج منها في ١٥ ايلول سنة ١٨٩٢ ولشهرته بين اقرانه في التفوق، انتدبته المدرسة لتعليم اللغة العربية فيها، فقضى في مهمته فترة قصيرة من الزمن ثم ذهب الى المنتفق وغدا يتردد الى هناك كل سنة فيقضي في هذا اللواء اشهراً، تمتد احياناً.

واختير في العهد العثماني عضوا في المجلس العمومي لولاية بغداد لما هو معروف من فضله في مجتمعه، وساهم في ادارة جمعية الهلال الاحمر العراقية في العهدين العثماني والعراقي ويحتفظ بهذا المركز الى الان.

ولم يشغل الاستاذ عن الانكباب على قراءة الكتب، ونبش الاوراق والصحائف المرقشة، شاغل، من زوج او ولد، فقد عاش عمره عزبا فصح فيه قول عقيلة احد علماء العروبة المعاصرين في بعلها: "زوجته مكتبته". ومع ان اكثر مقالاته اختص بها مجلة (لغة العرب) فقد حفلت باثارة مجلات وصحف اخرى بينها العراقية: "النجم" الموصليةو "الاعتدال" النجفيةو "عالم الغد" و"غرفة تجارة بغدادط وجريدتي "البلاد" البغداديات و"المجلة

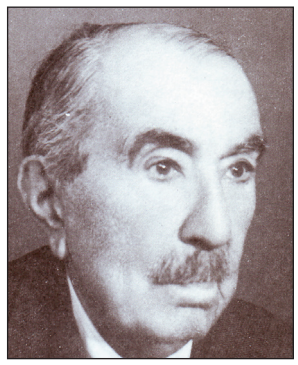

للاديب، ناشر هذه المقالة النفيسة، مقالات ظهر وشيها في هذه المجلة وفي غيرها، تدل على علو كعبه، في تقلية الاحداث والوقائع، ولا يتكلم الا عن امعان في التحقيق والتدقيق. كما سجل الباحث المحقق نفسه، (استفادته من الاب انستاس وتلمذه له في معالجة البحث، وحثه على الكتابة في صحيفته معترفا به أنه صحح له اغلاطا ودر به بالصحيح). ثم اتصلت اسباب المودة من ذلك الحين، بيني وبين الاستاذ يعقوب نعوم سركيس ورحت اقرأ دراساته العميقة، ومقالاته الضافية الذيول ، فاجد فيها مادة لا يجدها الراغب في مظان اخرى، عند بحاث الشرق او الغرب.

السورية" و"المسرة" و"الشهباء" و"المقتطف" في مصر وسورية ولبنان ومجلة "الادب والفن" اللندنية.

وانصرافه الى موضوعات معينة في التاريخ والادب جعل نتاج قلمه يقتصر على مقالات مبثوثة في الصحف والدفاتر ولم ينقطع الى تأليف كتب برأسها عدا رسالتين وهما:

١- كتاب "شهداء حلب" في سلسلة مجلة المسرة سنة ١٩٣٤.

٢- نظرة في كتاب "النقود العربية وعلم النميات: تأليف الاب انستاس ماري الكرملي سنة ١٩٥٠، سبق نشرها في مجلة المجمع العلمي العراقي.

وبعد ان الح عليه العارفون، في جمع مكتوبات في مجلدات واسفار عني بذلك فاودعها مجموعته الثمينة "مباحث عراقية" وقد ظهر قسمها الاول سنة ١٩٤٧٨.

وبين يدي القارئ (القسم الثاني) منها وتبقى عنده من المقالات المنشورة ما يفيض على (مجلد ثالث) وهو لايزال مثابرا على الكتابة، وعساه ان يتحفنا بهذا القسم ، تتلوه اجزاء اخرى.

واسلوب سركيس في تدوينه، اسلوب العلماء، يمتاز بالمادة الدسمة، والمراجع القصية، وبلاغة الحقائق، لا الديباجة المشرقة، والبيان العذب، وفصاحة الكلم.

فالكاتب لا يلقي الرأي من غير سند وبعض مساندة مخطوطات عزيزة المنال، ووثائق الفت في تاريخ بغداد والبصرة وبعض الاصقاع العراقية، يتعذر على الاخرين الحصول عليها، بعد ان صرف صاحبنا في سبيلها السنين الطوال، وبذل الاموال بسخاء، وجهز بالاطلاع والخبرة، وقلما يدعي دعوى لا يدعمها بدليل. ففي مطاوى، "مباحث عراقية" ما هو منقول عن وثائق عربية لم تظهر قبل ان جلاها الكاتب، وترجمة اصول تركية ظلت خافية على الناطقين بالضاد حتى طلع عليهم بها. وقد زاد في قيمة هذه المباحث صورة للشخصيات قلت الايدي التي صانتها من الضياع، وللرقم والكتابات بينها ما محته يد الدهر من لوح الوجود.

فهناك اراء وأمور كان ليعقوب سركيس فضل الوصول اليها. تلقاها في تضاعيف "مباحثه" اعدد بعضها ولا استطيع ان اعدها كلها:

منها ذهابه الى ان "خرائب تلو" هي "تلو هوارة" في تعبير العصر العباسي.

وان الايوان في "القلعة" ببغداد اليوم الذي يشغل القسم الاعظم منها مقر وزارة الدفاع، عرفه العباسيون "بدار المسناة" والجويني قد بنى "منارة سوق الغزل" بعد عقدين من العهد العباسي.

كما اهتدى الى ان "التاريخ المجهول" هو "الحوادث الجامعة" للشيخ كمال الدين عبد الرزاق المعروف "بابن الفوطي".

وعين موقع مقتل ابي الطيب (المتنبي) في بيزع – تحت دير العاقول.

وحقق تأريخ وفاة ابي بكر محمد بن يحي الصولي في شهر رمضان سنة ٣٣٥.

ووصف اخر العهد بضرب "النقود العثمانية" في بغداد. وعرف الناس بتقويم يومي لميخائيل يوسف عبود في البصرة ونقل عنه، ونفض الغبار عن مخطوط "المصباح المضيء في خلافة المستضيء" لابن الجوزي.

وابان وضعة "العرجاء" قصبة المنتفق قبل ما يزيد على ثلاثة قرون. الى غيرها من الكشوف في تاريخ وطننا او اعلام وشؤون الشرق مع ميزة خاصة لدراساته في "ماضي المنتفق" وامرائه آل شبيب ففرعهم آل سعدون لم تعرفها الكتب والرسائل قبله.

والمتابعون للحركة الفكرية في العالمين يدركون احتفال الباحثين والمؤلفين من المستشرقين واضرابهم، بثمرات يراع سركيس في تاريخ ارض السواد وخططها واثارها واحوالها الجغرافية والطبوغرافية وكثيرا ما يصفونها في مجلات المشرقيات مقدرين اياها ومن هؤلاء المستشرقين "كاسكل" في مجلة "اورينس" (المجلد ٤ رقم ١ ليدن سنة ١٩٥١). وعندما انوه بتقدير العلماء الاثبات لمؤلفنا الفاضل، يهزني، شأن جميع مواطني بانه ابناء العروبة الواعين، ان ينبغ في عصرنا باحث عراقي يبلغ بعلمه ومثابرته هذه المنزلة المقدرة، ويضيف الى الخزانة العربية كتباً تخلده قيمتها العلمية، فتكسب مصنفها وقومه الذكر الحسن، والفضل المنضوع، ما عاشت المعرفة الانسانية!.

بغداد في 25 اذار سنة 1955

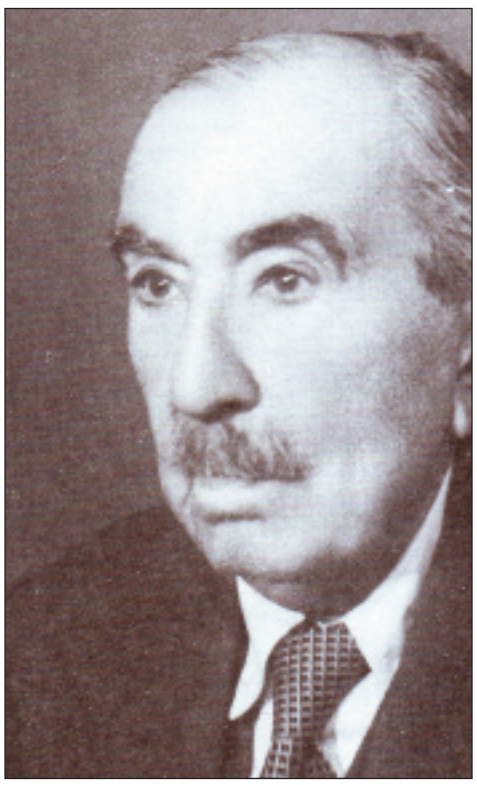

سركيس

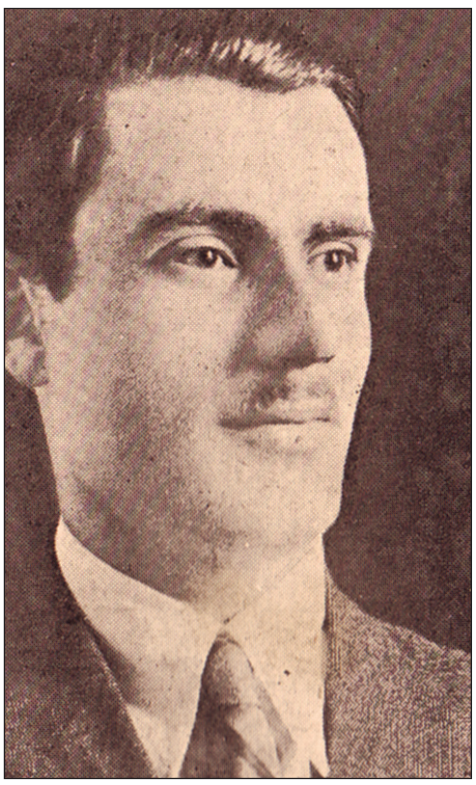

رفائيل بطي

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

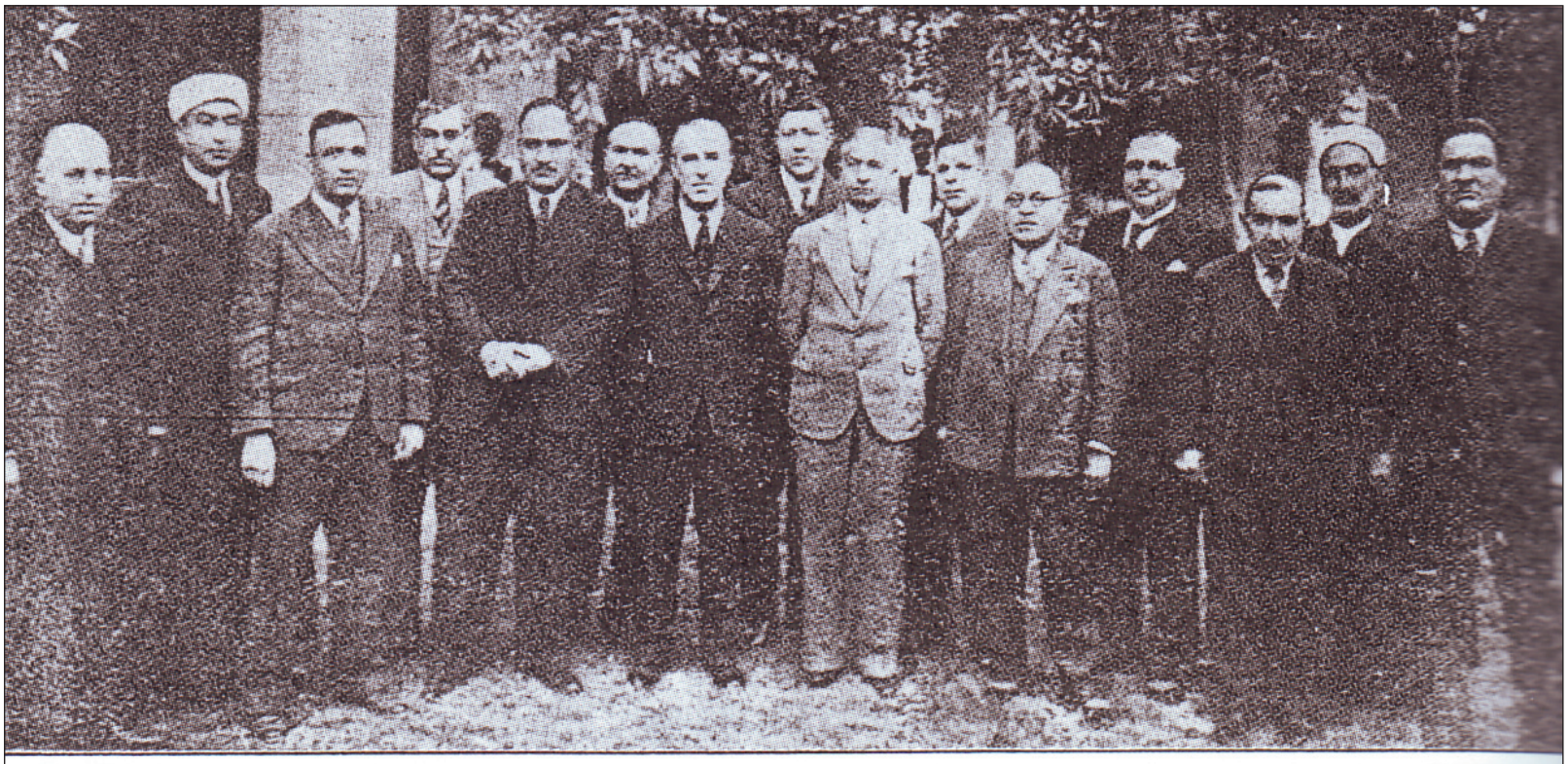

صورة أعضاء الهيئة التأسيسية للهلال الأحمر العراقي

وهم من اليمين الى اليسار :
١. السيد رؤوف الجيبه جي ٢.السيد طاهر جلبي محمد سليم٣.السيد يعقوب سركيس٤.الدكتور سامي سليمان ٥.السيد عارف حكمة٦.السيد سليمان فتاح ٧.السيد أرشد العمري٨.الدكتور صائب شوكت٩.السيد فخري جميل ١٠.الدكتور ابراهيم عاكف الالوسي ١١.محمد جعفر الشبيبي١٢.الدكتور جلال العزاوي١٣.السيد ابراهيم محمود الشابندر ١٤.السيد بهاء الدين النقشبندي١٥. عزرا مناحيم.

المؤرخ البغدادي يعقوب سركيس

معن حمدان علي

عاشت حلب صلات تجارية وثيقة بالعراق حتى نهاية القرن السابع عشر ميلادي، لكونها من محطات انتقال التجارة من اوروبا الى آسيا وبالعكس، ولتطور وسائل النقل التجاري فقد هذا الطريق الكثير من اهميته، مما دفع بالكثير من العوائل التجارية الحلبية الانتقال الى العراق – الذي بقي محافظا على نشاطه التجاري – والتمركز في مدنه الكبرى مثل بغداد والبصرة.

ومن هذه الاسر التجارية، آل عبود، الذين انتقلوا من حلب الى بغداد (غرة شعبان من سنة ١٢١٥ هـ الموافق ٦ كانون الاول سنة ١٨٠٠م). اشتهر من هذه الاسرة الوجيه فتح الله بن نصر الله عبود، الذي استقر في بغداد بعد البصرة، وسكن في محلة رأس القرية قرب جامع الخاصكي، وهو صاحب الخان المعروف باسمه في منطقة تحت التكية، والذي عرف باهتماماته التاريخية والادبية، فقد ذكرت المصادر اهداءه نسخة من مقامات ابن ماري المسيحي الى مكتبة جامع الحيدرخانة، وانتخب عضوا في مجلس ولاية بغداد، ومن جراء خدماته منح رتبة شرفية هي رئيس الحجاب (قبوجي باشي)، توفي سنة ١٣١٢ هـ - ١٨٩٤م.

ومنها اسرة سركيس التي انتقلت الى بغداد في مطلع القرن الثامن عشر ايضا واستقرت بها، رأس هذه الاسرة اكوب جان بن سركيس، الذي تزوج اخت فتح الله عبود وانجب منها بكره نعمة الله، المعروف بـ (نعوم) المولود في بغداد سنة ١٨٣٠م.

اشتغل نعوم سركيس في تجارة الحبوب والصوف، التي جعلته معروفا في سوق الشيوخ لتردده واقامته فيها من سنة ١٢٧٢هـ / ١٨٥٥م، وقد اشتهر بامانته واخلاصه، فقربه الامير السعدوني ناصر باشا شيخ المنتفق سنة ١٢٨٣ هـ / ١٨٦٦م واتخذه محاسبا له لضبط واردات المشيخة مع بقائه على تجارته، وكان ذلك سبباً في يساره وثروته، وهو مؤسس مدينة الشطرة الحديثة التي اتخذها اولا مخزنا للمحاصيل الزراعية، وحين جف نهر الخليلية المتفرع من الفرات والذي كانت الشطرة القديمة معتمدة عليه كليا في زراعتها، اضطر اهلها الهجرة منها تباعا الى الشطرة الحديثة، وكان ذلك في حدود سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣م.

اهل نعوم سركيس خاله فتح الله عبود على ابنته "اميليا" نهاية العقد السادس من القرن الثامن عشر، فانجبت له مؤرخنا يعقوب واخوته يوسف وفريدة وجوزفين.

ولادته: رغم ان يعقوب سركيس يذكر ان ولادته كانت في شهر آب من سنة ١٨٧٦م، وهو مأمون على ذلك، واكد هذا التاريخ وبالتحديد اليوم الحادي والعشرين من آب روفائيل بطي ومقالة مير بصري التي انتشرت في رثاء سركيس ويوسف اسعد داغر، الا ان هناك روايات خارى، وهي:

١- اعتمد الشيخ وداي العطية في تدوين "تاريخ الديوانية" على مجموعة كبيرة من الشخصيات التي عاصرت احداث تلك المنطقة، ومنها يعقوب سركيس، وقد اشار الى ان عمره (حوالي اثنان وثمانون سنة)، ومن تضاعيف الكتاب نعلم انه دون اكثر المعلومات سنة ١٩٥٣م، وبعملية حسابية بسيطة يظهر فيها ان ولادته سنة ١٨٧١م.

٢- وفي موسوعة اعلام العراق للاستاذ حميد المطبعي ذكر انه اول من اكتشف تاريخ ولادة سركيس، وهو سنة ١٨٧٥م، ولم يسبقه احد!!؟.

لقد اعتبرت رواية العطية هي الاقرب الى الصحة لان مؤلف تاريخ الديوانية كان يسأل من اعتمد على روايتهم التي دونها عن اغمارهم ويثبتها في كتابه، كما اني وجدت في مكتبة سركيس الخاصة كتاب (الرد على الدهريين، رسالة في ابطال مذهب الدهريين وبيان مفاسدهم) لجمال الدين الافغاني المطبوع في بيروت سنة ١٨٨٥م، كتب على صدر الصفحة الاولى منه "بغداد ١٨٨٦ من كتب يعقوب سركيس".

وهذا ما يرجح ان يكون عمره قد بلغ منتصف العقد الثاني، ان لم يتجاوزه بسنة او اكثر، حيث ان من الصعب ان يثير كتاب (الرد على الدهريين)، او تدوين تاريخ حيازة الكتاب بهذه الطريقة اهتمامات صبي ذي عشر سنين.

حياته:

حينما بلغ يعقوب سن التعلم ادخل في مدرسة القديس يوسف للاتين (مدرسة الاباء الكرمليين) ، درس فيها العربية والفرنسية والتركية، ثم عين فيها معلما بعد تخرجه سنة ١٨٩٢م لغياب المعلم، ولم يمارس التعليم الا احدا وجيزا حيث فضل له والده الحاقه كاتبا لدى بعض البيوت التجارية ليتقن المعاملات والحسابات التجارية، لكنه نجح عام ١٨٩٣م بوفاة والده، فتعهده عمه بولس سركيس للاشراف على املاك والده، وهي الاراضي الزراعية الواسعة في (المنتفق)، والتي اشتراها والده بعد بيع مدحة باشا تلك الاراضي باسم التفويض، وكانت تقدر نحو ٢٠٠ الف دونم، بالاضافة الى بستانين في محلة السنك في بغداد حين كانت نهاية بغداد الجنوبية منتهية قرب جسر السنك الحالي او حواليه، وكانت الاول مسجلا باسم يعقوب وشقيقه يوسف، والاخرى مسجلة باسم جوجو (جوزفين) سركيس.

امضى مؤرخنا اربعين سنة او نحوها، يخرج كل سنة في مواسم الزراعة والحصاد الى انحاء الشطرة والحي وقطعة صالح والناصرية متفقدا املاك الاسرة الزراعية، ابتداء من شهر ايلول سنة ١٨٩١م حيث كانت اول سفرة له، وكانت هذه الفترة من حياته قد اغنت تجاربه في الحياة، حيث اصبح على خبرة واسعة بعادات وتقاليد العشائر ورسومها من خلال مشاركتهم في العيش، والمبيت في الخيام والقرى

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

النائية وركوب الخيل، وكثيرا ما كان يعتز بهذه الفترة من حياته، مفتخرا بها معبرا عن ذلك بانه نصف بردي او فلاح.

ورث يعقوب سركيس منذ نعومة اظفاره هواية ملكت حياته بعدها، وهي جمع الوثائق والرسائل والمخطوطات والكتب، كما مر بنا امتلاكه كتاب الافغاني في مراهقته. وقد اشار سركيس الى ما تركه جده لامه فتح الله عبود قائلا: ".. وهذه الاوراق.. كان ينصرف قدرها على نحو عشرين صندوقاً .. وقد حوت اعمالا تجارية متسلسلة التواريخ حتى صدر القرن العشرين، عائدة كلها الى الاسرة المذكورة ، وفيها من الكتب المخطوطة وغيرها ما يقدر وجوده، وكان قد اهتم بحفظه الخلف عن السلف، ومن هذه الاوراق ما هو مختص باحدهم، فتح الله عبود الذي عرفه الكثير من معاصرينا، وكان يعتني بالاوراق المنتقلة اليه اشد الاعتناء منذ حداثة سنه، وقد زادها ما اقتناه بذاته، فكان يدون الوقائع في تقاويمه اليومية كما كان يفعل سلفه، هذا فضلا عما حدثه مفاوضاته التجارية والاهلية م الشؤون الجمة، وكنت ترى عنده الجرائد نفسها عن السنين المتعددة الطويلة مجموعة مجلدة، ومنها الزوراء منذ ابتداء انتشارها ولحسن الحظ كان قد بقي من هذه الاوراق في دار السكنى الصندوق الذي ساقني الى هذا المنال..".

ثم استبدت به هذه الهواية فجمع خزانة كتب فريدة تظم عدة الاف من النفائس النادرة في شتى اللغات، مع انه يتفق الى جانب لغته العربية، الفرنسية والعثمانية ويحسن الفارسية والانجليزية. وكل تلك المصادر تهم تاريخ العراق من قريب او بعيد، وخصوصا الفترة المحصورة ما بين سقوط الدولة العباسية الى الحرب العالمية الاولى، وهي الفترة التي اختص بها، مثل كتب التاريخ والرحلات والخطط واللغة والادب وغيرها، حتى انه كان يكلف بتعريب الكتب التي طبعت بلغة لا يعرفها من يحسن تلك اللغة، شفاها ان تعذر كتابة. كما حوت مكتبته على مجموعة كبيرة من نوادر المخطوطات التي كان يقتنيها شراء او يطلب استنساخها.

ففي رسالة له يذكر فيها للاب الكرملي انه قابل المؤرخ عباس العزاوي في "مكتبة نعمان الاعظمي، وكانت هناك طائفة من الكتب المطبوعة والمخطوطة قد جلبت من النجف، وكنت قد نظرت فيها قبل مجيئه ولم اعثر على ما يروقني". وفي رسالة اخرى يطلب من الاب ان "من تريدون ان تطلبوا منه استنساخ كتاب التاريخ ان ينقل لنا ما يجده في اول الكتاب وآخره من اسماء".

مؤلفاته:

أشرف سركيس على الخمسين حين اصدر الاب الكرملي مجلته لغة العرب سنة ١٩١١م، ولم يعرف عنه انه نشر مقالة او كلمة، ولصلته بالاب الذي شجعه على تدوين معلوماته ونشرها. كتب مقالته الاولى بعنوان (خواطر في المنتفق وديارهم) بتوقيع (منتفقي) فنشرها الاب الكرملي في السنة الثانية من لغة العرب (عدد خزيران ١٩١٢)، إلا ان سركيس اغفل نشرها في كتابه مباحث عراقية، والقسم الاول منه بالخصوص لانه احتوى على مقالاته المنشورة في لغة العرب فقط، مشيراً الى ان بدأ تلاعبت بها.

كانت هذه المقالة فاتحة عهد جديد في حياته، فقد واصل الكتابة بعدها في مجلات عديدة مثل (غرفة تجارة بغداد) و(عالم الغد) و(سومر) و(مجلة المجمع العلمي العراقي) و(النور) البغدادية، و(النجم) و(الجزيرة) الموصلية، و(الاعتدال) و(البيان) النجفية، و(المقتطف) و(المجلة السورية) المصرية، و(القربان) و(الشهباء) الحلبية. وكذلك نشر المقالات في الصحف البغدادية منها (البلاد) و(الزمان) و(العراق) و(الاخبار) و(الشعب) و(الطريق) و(الاوقات)... وغيرها.

"مقالات لم تطرق من قبل، تتسم بالجدة والطرافة وتمتاز بالابتكار والموضوعية، وهو يلقي اضواء كشافة على كثير من الاحداث التي رافقت العراق في فترة الحكم العثماني، والتي كاد غبار النسيان يتراكم عليها، مضافاً الى ما يحويه من الفصول الشيقة التي تجلب المتعة والفائدة في آن واحد، ولا يستغني عن مطالعته عشاق الادب وطلاب العلم ورواد التاريخ. ليعقوب اسلوب في الكتابة امتاز به، وقد اصاب روفائيل بطي كبد الحقيقة حين وصفه باسلوب العلماء لامتيازه بالمادة الدسمة والمراجع القصبة وبلاغة الحقائق لا الديباجة المشرقة والبيان العذب وفصاحة الكلام".

وقد صدرت اولا بعض مقالاته مستلة من المجلات وهي:

١- تلو او تل هواره. بغداد ١٩٣١.

٢- مقدمة (تذكرة الشعراء او شعراء بغداد وكتابها في ايام وزارة داود باشا والي بغداد – بغداد ١٩٣٩.

٣- التتن والقهوة في العراق مع كلام على بعض النقود العثمانية وغيرها – بغداد ١٩٤١.

٤- واردات العراق بين عهدين – بغداد ١٩٤١.

٥- كمرك بغداد في عهد السلطان مراد الرابع وخلفه السلطان ابراهيم من سنة ١٠٤٩ الى سنة ١٠٥٦ هـ / ١٦٣٩ – ١٦٤٦م – بغداد ١٩٤٢.

٦- الاب الكرملي وكتابه النقود العربية وعلم النميات – بغداد ١٩٥٠.

وبعد الحاح شديد من اصدقائه جمع مقالاته في كتاب سماه (مباحث عراقية، في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد) فاصدر القسم الاول سنة ١٩٤٨ بمقدمة الشيخ محمد رضا الشبيبي، ثم اصدر القسم الثاني سنة ١٩٥٥م وقد قدمه روفائيل بطي، واخيرا وليس آخراً صدر القسم الثالث سنة ١٩٨١، وسيكون القسم الرابع مكملا لاغلب ما كتب ان شاء الله تعالى.

لقد بين الدكتور عماد الجواهري اهمية (مباحث عراقية) في مقال له بعنوان (مجلة لغة العرب مصدرا لتاريخ العراق)، قائلاً ".. فان بوسعنا ان نشير الى عدة مؤلفات طرحت من رحم مجلة لغة العرب، في حين ولدت افكار مؤلفات اخرى غداة نشر بعض المقالات المثيرة للاهتمام لقد اصبحت هذه المؤلفات من اهم مصادر تاريخ العراق في مختلف مراحله، ولعل اهم هذه المؤلفات هو مباحث عراقية في الجغرافية والاثار..".

وكان قبلها قد نشرت له مجلة (المسرة) اللبنانية كتاب (شهداء حلب) سنة ١٩٣٤ ضمن سلسلة منشوراتها، وهو يحمل رقم (٥) منها، وجد يعقوب سركيس في مخطوطاته وثائق تستدرك على كتاب اصدرته المجلة بنفس العنوان فاعتبرت كتابه متمماً له ولذلك كتب على غلافه الجزء الثاني.

نشاطه الثقافي والاجتماعي:

جمع مؤرخنا بين الثقافة والثراء، قل ما تجتمع في شخص واحد، فكان وجها اجتماعيا متميزا، ولذلك نجده عضوا في مختلف الجمعيات والنوادي الثقافية والاجتماعية، ومنها:

١- جمعية الهلال الاحمر العثمانية: اسست الدولة العثمانية ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ – ١٩١٨) هيئة مركزية للجمعية في بغداد، وكان من اعضاء هذه الهيئة المنتخبة من وجوه بغداد وشخصياتها.

٢- احتفلت بغداد بالعلامة الكرملي بمناسبة بلوغه الخمسين فالفت لجنة برئاسة الشاعر الزهاوي، من نخبة من ادباء بغداد واعيانها، وكان سركيس عضواً فيها وقد شارك بموضوع (عم سعدون، مغامس المانع والكرملي) والذي خلاصته صلة آل السعدون بالكرمليين قديماً، لصلة ذلك بالحفلة التي اقيمت في دار عبد المحسن السعدون في سنة ١٩٢٨م.

٣- جمعية الهلال الاحمر العراقية: انتخب فيها بتاريخ ١٩٣٥/٣/٣١ ضمن الهيئة الادارية للجمعية، ثم انتخبته الهيئة مفتشا عاما للجمعية في ٥ نيسان ١٩٣٥.

٤- نادي القلم العراقي، اجازت وزارة الداخلية تأسيس هذا النادي سنة ١٩٣٤، وقد اشارت المادة الثانية من النظام الاساسي للنادي ان غاية النادي هي (تعارف المؤلفين وحملة الاقلام، واحكام الروابط بينهم وتعزيز الادب العربي وتعضيد البحث وايجاد الصلات بين حملة الاقلام في العراق، واقرانهم في البلاد الاخرى). وقررت المادة الثالثة من النظام ان تتوفر في العضو (شخصية ادبية او علمية). وكان مؤرخنا عضوا في النادي سنة ١٩٣٧.

٥- لجنة تسمية شوارع بغداد: الفت (امانة العاصمة) سنة ١٩٣٦ لجنة من الشخصيات البغدادية المثقفة لغرض تبديل اسماء شوارع بغداد القديمة، وكان سركيس من ضمن اعضاء هذه اللجنة.

٦- المجمع العلمي العراقي: انتخب سركيس عضوا فخريا فيه للسنوات ١٩٥٢ – ١٩٥٤.

٧- واختير في عدة لجان انسانية منها:

أ- لجنة الاكتتات العام لمساعدة منكوبي سورية في احداث سنة ١٩٣٦.

ب- لجنة الاكتتاب العام لمساعدة عوائل الشهداء المتضررين في شمال العراق سنة ١٩٤٥.

ج- لجنة الاكتتاب العامة لجمع مبلغ خمسين الف دينار لغرض اعانة عوائل الشهداء والجرحى في مظاهرات ١٩٤٨ (ضد معاهدة بورت سموث).

جوانب من شخصيته:

ان رسائل يعقوب سركيس قد سلطت الضوء على شخصيته، واثارت لنا بعض الجوانب المهمة من حياته، والتي لفها الغموض لعدم اهتمام احد بها مع انه يعد من المع المؤرخين المتميزين بالتثبت والدقة.

في رسالة، يقول فيها مخاطبا الاب الكرملي ".. انكم تخافون الكتابة التي لكي لا تلجؤوا اليها لانها تضجرني، فجوابي لذلك اقراري باني مقل في الكتابة، ولكن هذا الاقلال ليس الى هذه الدرجة، ولاسيما في اجوبة مكاتيبكم".

وفي رسالة اخرى نفهم منها ان مصطفى جواد كان يغريه بتحقيق الجزء الثامن من (مرآة الزمان) لسبط ابن الجوزي وتأليف كتاب موضوعه تاريخ العراق يماثل فيه تاريخ العراق بين احتلالين للمؤرخ العزاوي، وقد رد قائلاً "كذلك اشكركم على ما نقلتموه الي من كتاب مصطفى جواد بشأن الجزء الثامن من (مرآة الزمان)، واشكر لهذا الصديق لعزيز على حسن ظنه بمقدوري على تصحيح اغلاط هذا التأليف سببها النسخ والتعليق عليه ثم طبعه.. فاني اعرف نفسي باني لست بكفء للقيام بهذا العمل. انا لا مقدرة لي الا على تسطير بعض المقالات، اما مثل هذا المشروع فالذي عندي انه لايمكن ان يقوم عليه الا الاستاذ المحقق المدقق مصطفى جواد وامثاله.

واين انا من اقتراحه الثاني وهو ان لم اوافق على الاول ان أؤلف تاريخا للعراق حتى سقوط بغداد، اوازي به عمل الاستاذ العزاوي، وهذا لاشك اصعب من الاول..".

وهذا يفسر لنا اقتصاره على تدبيج المقالات، الا انه اهتم في اواخر حياته برحلة الرحالة العثماني محمد ظلي المعروف باسم أوليا جلبي فترجم القسم الخاص بالعراق منها، وكانت المخطوطة في مرحلة التعليق والتهميش واذا (بالمنية انشبت اظفارها) فتجهز على هذا الجهد الجليل فيضيع مع ما ضاع من تراثه.

اتصف مؤرخنا بالتواضع العلمي الذي اقترن بالسماحة والخلق الرفيع، والعجب هو ان لم يتصف بذلك، فهو في قمة نشاطه ولايرى ضيرا من ا نيطلب من الاب الكرملي ملاحظة ما يكتب، ففي رسالة له الى الاب يؤكد ذلك قائلاً "وارجو من حضرتكم ان تنظروا فيه لئلا اكون قد غلطت في شيء".

ويتحدث احد عارفيه عنه قائلاً "لقد عرفت الراحل الفاضل من عشرين سنة، ونعمت بصحبته، وتمتعت باحاديثه، وافدت من علمه وفضله، وطالعت من مكنونات خزانته ما شئت، ورغبت فوجدته – مع ما بيننا من فارق في السن – نعم الصديق الوفي الكريم، والرجل المهذب الوقور، والعالم المتخلق بافضل الاخلاق، والمتتبع لسنن العدالة، والحق، والمتسم بالرصافة والصراحة والصدق، لقد كان عصاميا بالرغم من ثروته ووجاهته، وكان معتدلا في كل اموره، مبتعدا عن التفريط والافراط، وكان حليما واسع الصدر، متواضعا للصغير والكبير..".

وفاته:

لمس يعقوب سركيس اوصاب الشيخوخة حين تجاوز الثمانين بسنين (ومن يعش ثمانين حولا – لا ابالك – يسأم)، فاعتكف في داره، منقطعا عن صحبه وخلانه، مخلداً الى وحشته وانفراده، لتحرجه من صمم اعياه وخطى متثاقلة اتعبته، حتى وافته المنية في مساء الاربعاء ٢٣ كانون الاول ١٩٥٩م في الهزيع الاول من الليل. وبذلك انطوت آخر صفحة ناصعة مشرقة من حياة شيخ وقور انصرفت سحابة عمره الى البحث والتدقيق مدونا صحائف من تاريخ وطنه، وتلك مشيئته تعالى وهو ارحم الراحمين.

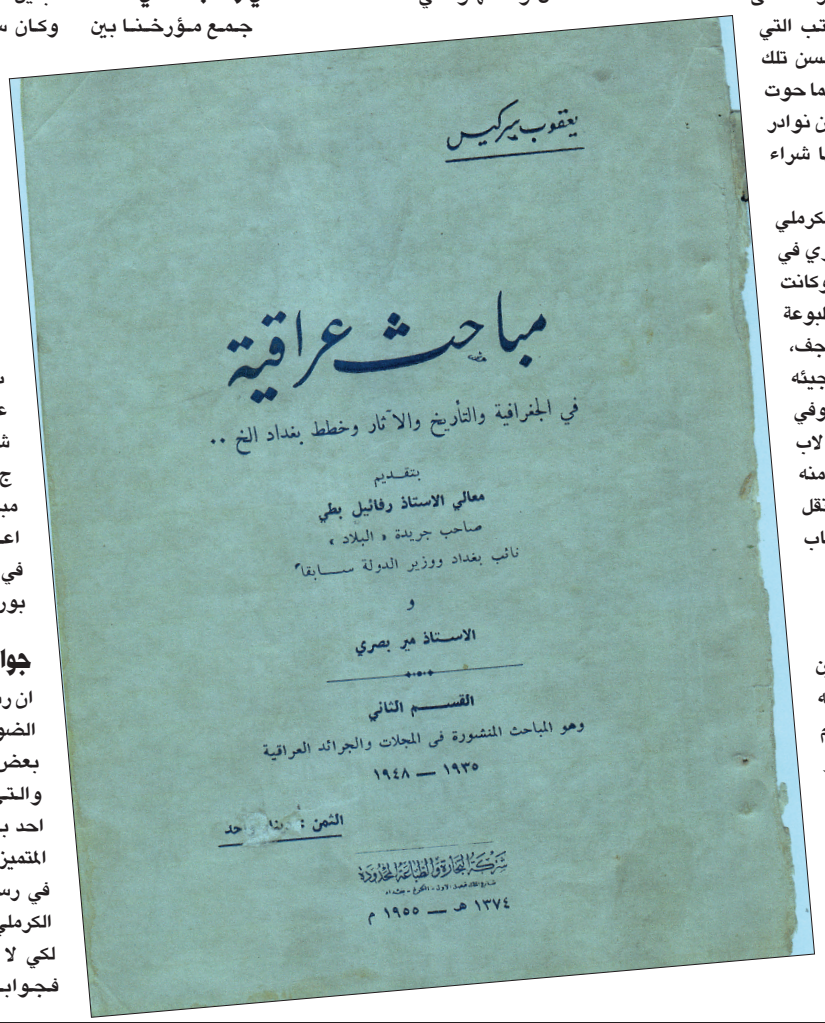

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

يعقوب سركيس المؤرخ والبحاثة المدقق

ع مير بصري

في خرائب واسط في ٢٧ أيار ١٩٣٦

ولد يعقوب نعوم سركيس في بغداد في ٢١ آب ١٨٧٦ من اسرة حلبية الاصل ودرس في مدرسة اللاتين فتعلم العربية و الفرنسية والتركية. ولما تخرج في مدرسته عهد اليه بالتدريس فيها امداً وجيزا في محل احد المعلمين الغائبين. ثم الحقه ابوه بعمل كتابي في بعض البيوتات التجارية ليتعلم المراسلة والمعاملات. ولم يبلغ السابعة عشرة من عمره حتى توفي ابوه نعوم سركيس، وكان ملتزما لمقاطعات في انحاء المنتفك وملاكا فيها، فتعهده عمه بولس واخذه معه الى الشطرة للاشراف على مزارع الاسرة. ومنذ ذلك الحين امضى اربعين سنة او نحوها يخرج في كل سنة الى انحاء الشطرة والحي وقلعة سكر والناصرية ليعيش اشهرا في الخيام او الدور القروية متعهدا املاكه وزراعته. ولم يشذ عن تلك القاعدة إلا في سني الحرب العالمية الاولى وبعض السنوات الاخرى، ثم انصرف عنها بعد ان اجتاز سن الكهولة. وكثيرا ما كان يبتهج بانه نصف بدوي او فلاح لقضائه معظم ايام حياته في القرى والارياف واعتياده معيشة الخيام وركوب الخيل ومجالسته للزراع ورجال العشائر ومعرفته بعاداتهم وآدابهم واهازيجهم. وكان محافظا يلزم نفسه بالتقاليد القديمة ويقول في كل مناسبة تعرض: "قطع الخشوم ولا قطع الرسوم" يريد بذلك وجوب التقيد بالاصول والرسوم ولو ادى الامر الى جذع الانوف والارهاق والاذى. وكذلك اصبح يعقوب سركيس قطعة من تربة الوطن وجزءاً لا يتجزأ من تاريخه قبل ان يتصدى لتدوين صحائف من احداثه وشؤون رجاله وبقاعه. وقد ورث عن آله ميلا الى جمع الوثائق والرسائل والمخطوطات، فانصرف الى هذه الهواية منذ نعومة اظفاره. ثم استبدت به هذه الهواية فجمع خزانة كتب ضخمة ضمت نفائس لم يتيسر اقتناؤها الا ببذل المال الوفير وانفاق سنين تربو على الخمسين. وقد حدثني مرارا عن المتاعب التي لقيها في شراء الكتب، لاسيما في صدر شبابه في اثناء عهد الاستبداد الحميدي. فلقد كان بيع عدد كبير من الكتب ودوائر المعارف محظورا لاحتوائها على مباحث في الحرية والنظريات الاجتماعية والاقتصادية. واضطر الشاب يعقوب سركيس ان يكلف صديقا له زار اوربة في مطلع القرن الحاضر – وكانت تلك الرحلة من الاحداث النادرة انذاك – كلفه بتهريب نسخة من دائرة المعارف الفرنسية ليضمها الى مكتبته، وبقي بحاثتنا يحتفظ بهذه النسخة ويحرص عليها الى آخر حياته.

وقد اشرف بحاثتنا على الاربعين من عمره دون ان تخطر الكتابة بباله. ثم اصدر الاب انستاس ماري الكرملي مجلته "لغة العرب" فشجعه على تدوين معلوماته عن المنتفك، فكتب نبذة عنوانها "خواطر في المنتفق وديارهم" بتوقيع مستعار. لكن يد الاب تناولت هذه النبذة بالتنقيح والتصحيح حتى "شوهتها" فطواها يعقوب سركيس واغفل نشرها في مجموعته.

بيد ان تلك النبذة كانت فاتحة عهد جديد في حياة الاستاذ يعقوب، فقد واصل الكتابة منذ سنة ١٩١٣ ونشر مقالاته وبحوثه الممتعة في مجلات وصحف عديدة كمجلة لغة العرب وغرفة تجارة بغداد والنجم الموصلية والاعتدال النجفية والادب والفن اللندنية وعالم الغد والبيان والجزيرة وسومر والنور والمجمع العلمي العراقي وجريدة البلاد والزمان والعراق والاخبار والشعب والطريق والاوقات العراقية... الخ. وقام بعد بعد الحاح شديد من اصدقائه بجمع مقالاته في كتاب "مباحث عراقية" في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد الخ، فاصدر القسم الاول سنة ١٩٤٨ بتقديم محمد رضا الشبيبي، واردفه بالقسم الثاني سنة ١٩٥٥ وقد قدمه رفائيل بطي ومير بصري. تضمن هذان الجزآن اغلب كتاباته التي تستوعب مجلدين آخرين.

واختاره المجمع العلمي العراقي في كانون الاول ١٩٤٩ عضوا فخريا فكتب مقالات نفيسة في مجلة المجمع اهمها بحثه في النقود العراقية الذي جاء بشكل تعليق على كتاب الاب انستاس الكرملي في النقود العربية وعلم النميات، وهو بحث مسهب بشكل كتابا متوسطا قائما بذاته. وترجم يعقوب سركيس في اخريات ايامه الفصول المتعلقة ببغداد من رحلة اوليا جلبي، نقلها عن اللغة التركية وشرع بكتابة الحواشي والتعليقات مما قدر له ان يتجاوز المئتين، لكن الزمن لم يسعفه لانجازها.

وطريقته في الكتابة والبحث ان يراعي الدقة ويتحر التفصيل، لكن قلمه لم يكن يطاوعه – على ما كان يقول – فكان يصرف في كتابة البحث او المقالة اياما واسابيع يراجع المصادر وينقل النصوص ويزن كل كلمة وعبارة خشية مجانبة الحق او إساءة التعبير. وكان قلما يعنى بطلاوة الاسلوب وجمال الصياغة، فلم يكن يعتبر نفسه ادبيا وانما كان يرمي الى الاقادة دون ان يهمه الامتاع. وكنت اعرض عليه احيانا شيئا من شعري او كتاباتي الادبية فكان يقرأها بامعان ثم يقول متواضعا في صراحته المعهودة: "لعل هذا جيد، ولكنني لا استطيع الحكم". او ما كان في هذا المعنى. ومن امثلة دقته انه كتب ذات يوم يرد على احد الادباء في موضوع تاريخي فاشار الى اسم الكاتب "فلان الملقب نفسه بالفلاني". فلما سألته لماذا لم يكتب "فلانا الفلاني" كما هو المألوف قال "إن هذا الرجل يدعي الانتساب الى قوم مضوا، فاذا ذكرت اسمه على علاته حسب مني ذلك إقرار بنسبه".

ولقد تحدثت قبل سنوات طويلة عن يعقوب سركيس البحاثة المؤرخ فقلت : حظي يعقوب سركيس بالصفات المطلوبة في المؤرخ المحقق، فاولع منذ حداثته يتتبع الاخبار واستقصاء الانباء، واوتي جلداً على التمحيص والتنقيب، ومعرفة بلغات تعين على الاستطلاع والاستقراء، وبصيرة نقادة تحاكم الوقائع وتميز بين المعقول والمختلق، وغيرة على الحقيقة لا ترضى عن الصدق بديلا، وروحا علميا ينزع الى التدقيق والتحقيق يذلل الصعب ويهزأ بالنصب والعناء. ورزق الى جانب ذلك قلما ان يكون رزين العبارة غير مشرق الديباجة، فانه واضح الاسلوب قريب المتناول بعيد عن التعسف والتكلف لائق بالبحث العلمي التاريخي.. اختص سركيس بعهود مجهولة من تاريخ هذه البلاد واتيح له ان يجمع وثائق ومخطوطات نادرة ثمينة ذات صلة بهذه الحقبة من الزمن وان يرث من اسرته اوراقا يرجع اقدمها الى نيف ومائة سنة، ويحوي بعضها معلومات ذات شأن لم ترد في مرجع معروف ويفسر وجودها هذا الميل المتأصل في نفسه الى التحقيق والتدوين.ومن اثمن ما ضمته خزانة كتبه مجموعة كبيرة منقطعة النظير من الرحلات الى العراق لمختلف الرحالين الذين اتوا هذه البلاد منذ اقدم العصور حتى عهدنا الحاضر. وهذه المجموعة التي بذل صاحبها في سبيل الحصول عليها جهدا ومالا وفيرين، كتبت بلغات مختلفة وفيها المطبوع والمخطوط، ومعظمها نادر عبر التطلاب. واذا كان بحاثتنا قد جد في طلب هذه المصادر القليلة الشهيرة وانعم النظر في ثناياها، فلا بدع ان جاءت ابحاثه غزيرة المادة طريفة الموضوع كاشفة لمناح مجهولة من تاريخ هذه البلاد في الازمنة الاخيرة. ولا شك ان هذه الابحاث سوف تبقى اسانيد تاريخية جليلة القدر كبيرة القيمة.

لقد عرفت الراحل الفاضل عشرين سنة ونعمت بصحبته وتمتعت باحاديثه واخذت من علمه وفضله وطالعت من مكنونات خزانته ما شئت ورغبت، فوجدته، على ما بيننا من فارق السن، نعم الصديق الوفي الكريم والرجل المهذب الوقور والعالم المتخلق بافضل الاخلاق والمتبع لسنن العدالة والحق والمتسم بالرصانة والصراحة والصدق. لقد كان عصاميا بالرغم من ثروته وجاهه، وكان معتدلا في كل اموره مبتعدا عن التفريط والافراط، وكان حليما واسع الصدر متواضع للصغير والكبير، فيا لاسفي على فقده ويا للوعتي وأساي على وفاته. ان الجيل الذي انجبه قد مضى وانطوى في ذمة التاريخ، وقد بقي فقيدنا الى آخر ايامه مثالا حيا لابائنا الجادين الاخيار البسطاء وانموذجا طيبا لاحسن صفاتهم وشمائلهم. فيا ايها الشيخ النبيل والراحل الفاضلا لجليل، لقد المني المصاب واخرسني الحزن والشجن، فماذا اقول في تأبينك وكيف اثني عليك واعدد ما شهدت من مزاياك وسجاياك؟ إنك حي في نفوس عارفيك، مأثور الفضل منشور الذكر، وقديما قال المتنبي:

كفل الثناء له برد حياته
لما انطوى فكأنه منشور

آثاره ومصادره:

إن ابحاث يعقوب سركيس ودراساته سوف تبقى مصدرا من مصادر تاريخ العراق في العهد العثماني الاخر يرجع اليها مؤرخ المستقبل في تحقيق موضوعه وتدوينه. وقد كان فقيدنا مولعا بمباحثه يحبها حبا جما ويتلذذ بكتابتها وتدقيقها واعادة النظر فيها. وكان يقول: "اظن كتاباتي جيدة، ولكنني كالأب يحب اولاده في جمالهم ودمامتهم". وكان يتبجح – وهو الرجل المتواضع الذي يؤثر العزلة ويتحاشى الظهور – فيقول: "إن المصادر التي هيئت لي قلما هيئت لغيري..".

إن دراستنا لسيرة البحاثة الراحل لا تكون

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

كاملة اذا لم تردفها بنظرة عامة في آثاره ومراجعه، ان كتابات يعقوب سركيس التي دونها ونشرها خلال حقبة تنيف على الاربعين سنة تتناول مواضيع شتى وتستند جميعها الى مراجع مخطوطة او نادرة. ومن اهم هذه المواضيع.

١- تاريخ المنتفق وآل السعدون، وقد كتب في هذا الموضوع صفحات كثيرة اعتمد في اغلبها على وثائق ذات شأن وصلت اليه من ابيه الذي كان وثيق الصلة بآل سعدون.

٢- خطط بغداد وآثارها كمنارة سوق الغزل وجامع الخلفاء والمدرسة المستنصرية وجامع قمرية والمدرسة العمرية ودار المسناة والقصر العباسي وخان جغالة زادة المعروف بخان جغان الخ.

٣- بحوث اثرية كموقع خرائب تلو (تل هوارة) وواسط وطاق كسرى.

٤- بحوث في طائفة من مدن العراق كالبصرة والنجف والعمارة والكوت والبغيلة والتون كوبري.

٥- بحوث في الملل والنحل كاليزيدية وعقائدهم.

٦- تراجم اشخاص كنظمي وآله وابراهيم يحيى العاملي وحكيم زاده البغدادي.

٧- شؤون العشائر كآل قشعم وقبيلة العزة.

٨- طرائف تاريخية كرحلة اول عراقي الى العالم الجديد وظهور حوت في دجلة والاسود في العراق واشتداد الحر وسقوط الثلج ومقاييس الماء وظهور الو سيارة واول طيارة في بغداد وهلم جرا.

٩- مباحث في تاريخ العراق الاقتصادي، وضع يعقوب سركيس دراسات ذات قيمة في هذا الموضوع. وقد سألته ذات مرة ان يجمع هذه الشذرات والمقالات بين دفتي كتاب يطلق عليه اسماً ذا دلالة على الموضوع، فقال إنه يؤثر ادراجها في محلها من مجموعة مقالاته بحسب تسلسل تاريخ كتابتها. وقام فعلا بذلك فنشرها في القسم الثاني من مجموعته "مباحث عراقية" فاستوعبت زهاء ١٦٠ صفحة من القطع الكبير. ويصح ان يضاف اليها بحوث اخرى منها "بعثة جسني رائد الفرات" بصدد الملاحة في هذا النهر (مجلة دار المعلمين العالية – ١٩٤٨) ومقالة مطولة في "النقود والنميات" (مجلة المجمع العلمي العراقي – ١٩٥٠) الخ.

واستطيع ان اقول ان اقدام يعقوب سركيس على تدوين مباحث في التاريخ الاقتصادي قد كان يطلب والحاح مني. فقد تعرفت عليه في مجاس انستاس الكرملي في سنة ١٩٤٠ فلم البث ان دعوته الى الكتابة في مجلة غرفة تجارة بغداد التي كنت اشرف على تحريرها، كما دعوت فريقا من افاضل الكتاب والعلماء امثال انستاس الكرملي وعباس العزاوي ويوسف غنيمة ومصطفى جواد وداود الجلبي وهاشم جواد وعبد القادر رشيد وشيت نعمان وغيرهم.

وقد واصل يعقوب الكتابة في هذه المجلة من سنة ١٩٤٠ الى ١٩٤٤، فتناول في مواضيعه مبدأ زراعة بعض الثمار والخضر في وادي الرافدين، وتاريخ التبغ والقهوة والنقود العثمانية واخر العهد بضربها في بغداد، وواردات العراق بين عهدين، ورسم الاستهلاك في القرن التاسع عشر، وكمرك بغداد، في عهد السلطان مراد الرابع، وتعرفة الاحتساب، وواردات المنتفق، وتجارة البصرة في صدر المائة الماضية وهلم جرا. وفي وسعي ان اقول ان كل كلمة خطها وكل رقم ذكره يستند الى مصدر من كتاب قديم او رحلة نادرة او وثائق واوراق خطية عثر عليها في الزوايا الوخبايا. ومن المعلومات التي حققها ان زراعة الطماطة والفاوصولية والبطاطة حديثة عهد في هذا القطر، وان التتن قد عرف في العراق منذ مطلع القرن السابع عشر وعرفت القهوة قبل ذلك، وقد بني اول مقهى في بغداد سنة ١٥٩٠م وكانت واردات ولايات العراق الثلاث في اواخر العهد العثماني قبلا لحرب العظمى الاولى – على ما خمنه – لا تزيد على ٩٠٠ الف ليرة. وكان والي بغداد مفوضا بسك النقود في دار الضرب (السكة خانة) ثم انقطع الضرب في سنة ١٨٣٥ على عهد الوالي علي رضا باشا اللاز.

اما مصادر يعقوب سركيس التي كان يرجع اليها في تدوين مباحثه فاهمها، بلا ريب، رحلات الرحالين الذين اموا العراق في القرون الماضية. وقد جمع في مكتبته من هذه الرحلات الشيء الكثير ولاسيما كتب الرحالين الافرنج الذين جاؤوا الى بلاد الرافدين منذ سنة ١٥٦٥ الى اوائل القرن العشرين. وهذه الكتب بلغات مختلفة كالفرنسية والانكليزية والايطالية والالمانية والتركية، ومعظمها مطبوع قبل مئات السنين، وهي تجلو صفحة خفية من تاريخ هذا القطر واحواله المعاشية والاقتصادية والسياسية.

ومن المصادر النادرة التي هيئت لبحاثتنا وثائق آل سعود التي سبق الاشارة اليها واوراق ورسائل لآل عبود اسرة والدته – وترجع هذه الاوراق الى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر – وقد استخرج منها فوائد كثيرة تتعلق باخبار العراق وتجارته في ذلك العهد. وقد رأيت لديه سجلات يومية مخطوطة لعدد من الاشخاص باللغات الفرنسية والانكليزية والايطالية، منها ما يعود الى اوائل القرن الماضي وكان يرجع اليها بين الحين والحين لاستخراج معلومات طريفة واخبار فريدة. ولا ريب ان اهم تلك السجلات يوميات يوسف زفوبودا البغدادي المتوفى سنة ١٩٠٨. كان هذا الرجل كاتبا في باخرة شركة لينج التي كانت تمخر عباب دجلة بين البصرة وبغداد، وقد حرص على تدوين مذكراته يوما فيوما باللغة الانكليزية خلال ٤٦ سنة فجاءت في ٦١ دفترا وقع اغلبها في يدي يعقوب سركيس. كان زفوبودا يدون يوميا ما يسمعه من الاخبار والوقائع وما يحدث له من الامور غثها ومسمينها، وقد كتب آخر كلماته قبل يومين اثنين فقط من وفاته. إنني لأذكر هذه الدفاتر جيدا فهي على وفرة عددها بحجم واحد تفتح طولا ومجلدة بجلد احمر وقد كتبت بخط دقيق ظهر عليه الضعف واضحا في الدفتر الاخير. ولغة الكاتب الانكليزية تتسم بالركة والخطأ، واكثر مدوناته لا تعدوا اخبارا شخصية او عائلية تافهة، حتى ليحتاج قارئها الى حظ وافر من الصبر والجلد. ومع ذلك عكف يعقوب سركيس على مطالعتها سنين طويلة ووضع لها فهارس وجداول واستخرج من الاف سطورها طائفة من الاخبار والوقائع والطرائف. وحري بالذكر ان معظم هذه الدفاتر التي الى بحاثتنا قبل اعوام طويلة، ثم وجد في السنوات الاخيرة عدداً من الدفاتر الناقصة فكان فرحه بها عظميا اشد من فرح الطفل بدمية جديدة يعثر عليها.

وكانت معرفة سركيس باللغة الانكليزية ضئيلة فكان يستعين بي وبغيري من الاصدقاء لترجمة ما يريد من اخباها.

يعقوب سركيس ومخطوطاته:

خلف لنا اناتول فرانس، اديب فرنسة الفذ، في بعض رواياته شخصية حية عجيبة هي شخصية "سلفستر بونار" عضو المجمع العلمي الذي يمثل البحاثة المدقق المنصرف الى التنقيب والتحقيق، المعتكف بين كتبه واوراقه، الناظر بروحه وفكره الى زمان سالف. اولع الاستاذ بونار في صدر شبابه بالحتقيق التاريخي حتى انشغل به عن الزواج. واختص بتاريخ القرون الوسطى التي حجبتها سدل من الظلام كثيفة، فأكب على دراسة مظانها وتحري اخبارها وكشف مجاهلها.

وقف صاحبنا اتفاقا، في بعض المراجع القديمة، على ذكر مخطوطة فريدة في بابها تضمنت طرفاً نادرة من انباء الحقبة التي انفق عمره في تحقيق تاريخها، فهام بها وهو لا يدري اباقية هي في إحدى الزوايا ام قد ذهبت بها يد الحدثان. اصبحت هذه المخطوطة منية فؤاد استاذنا، يحلم بها في يقظته ومنامه ويتغزل بها ويشتاق اليها، والاذن تشق قبل العين احيانا. ومرت السنون وهو على عهدها مقيم، حتى اتيح له ذات يوم ان وجد اسمها في فهرس لأحد الكتبيين الايطاليين. فطار له فرحا بها، وشد الرحال الى صقلية في سبيل شرائها، وهو الشيخ الذي مضت عليه ثلاثون سنة في دار واحدة لا يكاد يبرحها. لكنه تجشم مشاق السفر الى ذلك البلد البعيد ليجد مخطوطته الحبيبة قد انتقلت الى نفس باريس التي خرج منها، فعاد اليها على عجل، والمخطوطة تمعن في الفرار منه، وهو يجد في اثرها، حتى حظي بوصلها، ولأيا ما فعل، إذ اهدتها اليه، بعد ان يئس من اقتنائها، جنية من بنات الانس راعية للجميل. لم يدر في خلدي ان انس ذات يوم بلقاء "سلفستر بونار" بشرا سوياً حتى هيء لي التعرف بيعقوب سركيس المؤرخ المحقق والتنعم بصحبته الكريمة وصداقته النبيلة. انفق سركيس سنين طويلة في جمع خزانة كتبه التي تضمنت كل ما استطاع حيازته من مصادر تاريخ العراق، وفي مقدمتها رحلات الرحالين الشرقيين والغربيين الذين زاروا بلاد الرافدين خلال الاعوام الالف الاخيرة، من اين جبير وابن بطوطة وسيدي علي واوليا جلبي ودري افندي ومصطفى الصديقي وابي طالب مرزا، الى بالبي وتكسيرا وديلا فالي وتيفنو وتافرنية ونيبوهر وروسو وشيزني وجونس ولوفتس وسون وجرترود بل.

لكن هذه المجموعة الفريدة في بابها قد اعوزتها مخطوطة لاتقوم بثمن: فقد علم الاستاذ سركيس في اثناء مراجعاته، بوجود رحلة مخطوطة لرحالة برتغالي قديم مجهول الاسم زار العراق في نحو سنة ١٥٥٤، وكانت هذه المخطوطة النادرة في حوزة الميجر مارتن هيوم الانكليزي في مطلع المائة العشرين. اشار الى هذه الرحلة البرتغالية المستشرق غاي لسترانج في هامش كتابه "اراضي الخلافة الشرقية" مستندا في ذكرها الى ما كتبه عنها مالك نسختها الفريدة نفسه في صحيفة "الاثينيوم" في عددها المؤرخ في ٢٣ اذار ١٩٠١. ولم يقرأ بحاثتنا العراقي خبر هذه الرحلة في هامش لسترانج حتى ملكت لبّه وشغلت باله، فشرع يبحث عن عدد الصحيفة الانكليزية التي وصفتها. لكن هذا العدد نفذت نسخه، وقد مرت على صدوره عشرات الاعوام، فلم ينل ذلك من عزيمة البحاثة المحقق، بل استمر على طلبه حتى وفق للحصول على نسخة منه – بعد بضع عشرة سنة! وقد سره ان يجد على صفحات هذا العدد رسالة من الميجر هيوم يصف فيها مخطوطته المجهولة المؤلف ويسأل القراء ان يرشدوه الى صاحبها الذي خرج من لشبونة في منتصف القرن السادس عشر، وجاب اوربة غربيها وشرقيها، ثم عرج على الاناضول وسورية وفلسطين ومصر ووصل اخيراً الى وادي الرافدين والخليج العربي. وقد كتب البرتغالي الذي غمر اسمه وشخصه حجاب النسيان يصف البلدان التي زارها والمغامرات التي خاضها في رحلته الطويلة الشاقة، فكانت مدوناته بعد مئات السنين سجلا رائعاً لعهود بعيدة واقطار مغمورة.

يا لسرور الاستاذ بالعثور على وصف مخطوطته الحبيبة بقلم من حاز نسختها الوحيدة! لكن هذا الوصف لم يكن ليبل الغلة، بل إنه لم يكن إلا ليزيد الظمأ الى الرحلة الموصوفة كما يشتد جو الجائع عند ذكر الطعام السائغ المريء. فكيف الحصول عليها واين الوصول اليها؟ لقد امتلكها ضابط انكليزي في مطلع القرن، فماذا فعل الدهر بهذا الضابط وماذا حل بمخطوطته الثمينة؟ اهي لا تزال في قيد الوجود خبيئة في بعض الزوايا، ام قد ذهبت بها يد العبث والاهمال فزال اثرها وزال بزوالها آخر سجل لمغامرات عجيبة شائقة؟ ام لعلها قد وقعت في قبضة هاوي كتب متبلد الذهن، فعض عليها بالناوجذ وضمها في خزانة مغلقة ينفس عليها نور الشمس واعين الناس.. لقد نقب بحاثتنا وامعن في التحقيق والتدقيق، وراجع فهارس دور الكتب وقوائم الكتبيين والهواة، وكتب الى "لوزاك" وامثال "لوزاك" من قناصة الاثار الشرقية النادرة.. ولكن هيهات ان يجد الى ضالته المنشودة سبيلا..

وقد اهديت كتب يعقوب سركيس

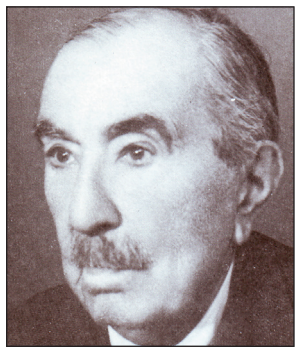

من المصادر النادرة التي هيئت لبحاثتنا وثائق آل سعود التي سبق الاشارة اليها واوراق ورسائل لآل عبود اسرة والدته – وترجع هذه الاوراق الى اواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر – وقد استخرج منها فوائد كثيرة تتعلق باخبار العراق وتجارته في ذلك العهد. وقد رأيت لديه سجلات يومية مخطوطة لعدد من الاشخاص باللغات الفرنسية والايطالية، منها ما يعود الى اوائل القرن الماضي وكان يرجع اليها بين الحين والحين لاستخراج معلومات طريقة واخبار فريدة.

ومخطوطاته بعد وفاته الى جامعة الحكمة في بغداد الى كوركيس عواد بوضع فهرست للمخطوطات صدر سنة ١٩٦٦، ثم نقلت الى مكتبة المتحف العراقي في تموز ١٩٧١. كان ليعقوب سركيس دائرة معارف بريطانية تتألف من عشرات الاجزاء مطبوعة قبل سنة ١٩٠٠، وكان يعتز بها كل الاعتزاز وقد اشترى طبعة جديدة بعد ذلك، لكنه بعد ان اهدى الطبعة القديمة عاد فاسترجعها وضمها الى مكتبته. وقد سألته عن السبب فقال: ان طبع الكتب والجرائد واستيرادها كان ممنوعا في عهد الاستبداد الحميدي يعاقب عليه باشد العقوبات، لاسيما تلك التي تذكر الحرية والحقوق المدنية والثورة والتاريخ الحديث. وقد سافر صديق له الى اوروبة سنة ١٩٠٠ فكلفه بجلب دائرة المعارف له، فتحمل مشقة كبيرة في ادخالها الى ميناء البصرة وحملها الى بغداد خوفا من الكمارك والرقباء. ووضعها يعقوب سركيس في مكان خفي من داره حذرا من العيون يطالعها سراً، حتى إذا ما اعلن الدستور سنة ١٩٠٨ وتم تحرير المطبوعات، اخرجها الى النور بلا وجل.

كان يعقوب سركيس يمتلك مخطوطاً في تاريخ آل سعود والوهابيين كتبه احد كتابهم في نحو سنة ١٨٧٥ وقد ترك المؤلف خدمتهم والتحق بخدمة آل سعود في المنتفق، فاجرى في مخطوطته بعض التصليحات.

وكان يعقوب سركيس يحرص على هذه المخطوطة ويعدها فريدة في موضوعها، وقال لي انه يرضى ببيعها الى الحكومة إذا دفعت فيها ثمنا كبيرا، لاسيما انها تقبض ايرادا جسيماً من مواردها النفطية.

ودعونا الشيخ عبد الله الخيال سفير المملكة العربية السعودية في بغداد ورفائيل بطي لفحص المخطوطة، فابدى السفير اهتمامه بها ووعد ان يكتب الى حكومته حاثا إياها على شرائها. ولكن لم يحصل اي نتيجة.

ولما توفي يعقوب وقام اخوه يوسف باهداء مكتبته الى جامعة الحكمة. اخبرته بقيمة المخطوطة فاثر الاحتفاظ بها ولم يهدها مع الكتب والمخطوطات الاخرى التي آلت بعد ذلك الى الحكومة العراقية عند تأميم الجامعة.

هذا وقد جمعت مقالات سركيس في كتابه "مباحث عراقية، في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد الخ. (الجزء الاول ١٩٤٨، الثاني ١٩٥٥) وله ايضا: تلو اي تل هوارة (١٩٣١) شهداء حلب (١٩٣٤) التتن والقهوة في العراق (١٩٤١) كمرك بغداد في عهد السلطان مراد الرابع وخلفه السلطان ابراهيم (١٩٤٦) واردات العراق بين عهدين (١٩٤١). وعني بنشر الجزء الثالث من "مباحث عراقية" معن حمدان علي سنة ١٩٨١.

اصيب يعقوب سركيس في السنتين الاخيرتين من حياته بمرض الشيخوخة فصار ينسى الحوادث القريبة. سألته يوما عن الجزء الثالث الذي جمع مقالاته وهيأها للنشر فقال لي لا اذكر ذلك. ثم سألته عن مجيء سليمان البستاني مترجم الالياذة الى العراق قبل سبعين سنة، فانبرى بذكر التفاصيل بدقة وقال إن البستاني جاء الى بغداد والبصرة واقام فيهما ثماني سنين ومارس التعليم والتجارة واقترن بفتاة عراقية.. ولم ينس بحاثتنا الشيخ الاحداث التي مرت قبل عشرات السنين.

عن كتاب اعلام الادب/ الجزء الثاني لمير بصري

العراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

رسائل بين الاب الكرملي وسركيس

الرسالة الاولى

بغداد في 15 شباط 1934
الى القاهرة
وصل الى في 1934/2/24

حضرة العلامة الكبير الاب الفاضل انستاس ماري الكرملي المحترم

احتراما جزيلا وتحيات كثيرة واشواقا غزيرة. وعسى ان يكن ايابكم قريبا فتقر العيون. جاءنا امس حضرة الاب الرئيس وبيده كتابكم المؤرخ في ٩ الجاري ولم اكن في الدار اذاك ، فشكر لحضرتكم على تذكركم اياي . كنت سألت عنكم الاباء عدة دفعات فكان جوابهم انكم بخير وسرني ماافادوني به من اخبار عنكم .

لكم الشكر ثانيا على ارسالكم الي بالكتاب المسمى (بنو معروف) فقد وصلني هذا الاسبوع مع بريد الهند ولم اجد فيه ماكنت أؤمل الحصول عليه وهو سبب تسمية القوم بنو معروف وماكان تطلبي له الا لهذه الغاية لامر تاريخي .سبحان الله قبل اخذي رسالتكم كنت انوي ان اكتب اليكم شاكرا لكم على البعث بهذا الكتاب وكان في نيتي ان ارجو منكم اهداء التحية والاحترام للاستاذ المحقق المنقب عيسى اسكندر المعلوف وان لم يتعارف احدنا مع الاخر لامواجهة ولا مكاتبة والذي كان يدفعني الى ذلك شغفي بكل مايكتبه على ماتعلمون والان اجد في كتابكم تحياته فقد صدق من قال (من القلب الى القلب سبيل) ولحضرتكم مني الف تحية وسلام .

ارتئي رايكم في الاستاذ مصطفى جواد فاذا كان له في البداء ان يعرف نفسه في مصر وقد تم ذلك لذا عليه الان على ماعتقد وانا فضولي في هذا القول ان ينصرف عما يشغله في درس الفرنسية تفرغا له ثم يعود الى مايريده بعد اتمام دروسه المطلوبة في فرنسا وارجو منكم اهداء تحياتي وهي بمقدار مايشعر به من الكثرة .

منذ سفركم لم الاق الاستاذ عباس العزاوي الا قبل يومين فقد صادفته في مكتبة نعمان الاعظمي وكان هناك طائفة من الكتب المطبوعة والمخطوطة فقد جلبت من النجف وكنت قد نظرت فيها قبل مجيئه ولم اعثر فيها عما يروقني ثم جاء فبان لي انه كان قد وقف عليهل فاشترى بعضها بحضوري بنحو نصف دينار وقد سالني عن حضرتكم ولم اكن قد اخذت كتابكم بعد لاحكي منه طرفا .

اخبركم عن مخطوط لمؤلفه وله شهرة وقد اشتريته في ١٦ كانون الثاني الماضي بنيف ودينارين . وصفحات هذا المجلد هي ٢٧٧ ومقياسها ٢٢ س × ١٦ بخط خشن وهو (الجزء الاول من اخبار بغداد وماجاورها من البلاد) للشيخ محمود شكري الالوسي. ولاعتقادي انكم ترغبون بالوقوف على وصفه ومضمونه ومصادره فاني ابادر الى ذلك مع كلمات في نقده غير متوسع خوف الاطالة .

قال الاستاذ الاثري عن هذا الجزء في اعلام العراق (ص ١٥٠) انه في ١٥ كراسه

وقال نعمان الاعظمي (صاحب المكتبه في مقدمته على المسك الاذفر بعد ان تكلم على ان تاريخ بغداد للالوسي في ثلاثة اجزاء : اما الجزء الاول والحاله هذه غير ميسور نشره فيما نظن) وذلك بعدما نقل ماقاله الاثري في اعلام العراق . هذا ماقيل فيه اما الدافع فهو غير ذلك فقد جاء في مخطوطي الخاتمة بحروفها التالية : (وحيث وقف بنا القلم في هذا المقام من المجلد الاول من عدة مجلدات عزمنا بحوله تعالى ان نبتديء من المجلد الثاني بالكلام على من تولى بغداد من الحكام الى عصرنا .. ثم نتبع ذلك فيما بغداد من المساجد والمعابد والمدارس والتكايا والزوايا .. (فهو كتاب كتاب مساجد بغداد واثارها الذي طبع) ثم ذكر تاريخ بعض المباني الجسيمة ووصف اصحابها ثم نتبعها بذكر بعض البيوتات في بغداد وبعض تراجم العلماء المشهورين فيها وشعرائها وادبائها الذين نبغوا في القرن الثالث عشر الى عصرنا هذا (فهو المسك الاذفر وان لم تذكر فيه البيوتات) ثم نبسط الكلام على مذاهب العراقيين ونحلهم وعلو شأن ائمتهم وعوائدهم في الماكل والملابس والافراح والماتم ثم نتكلم على من سكن ارض العراق من القبائل الرحالة .. ممايستفيد منه كل من نظر اليه من بحوله تعالى وتوفيقه ..) انتهى كلام المؤلف وقال الناسخ انه فرغ من نقله عن مسودة المؤلف في ليلة نصف شعبان سنة ١٣٢٧ .

وتبتدئ هذه النسخة التي في يدي بالفهرست ثم تتلوه مايلي (اخبار بغداد وما جاورها من البلاد) وفوق هذا الكلام قد اضاف المؤلف بخطه (الذي اعرفه ماكنت رايته عندكم) قوله : (المجلد الاول من كتاب) ونجد له بعض الكلمات في القليل من الصفحات في الحواشي .

ويمكن تلخيص مافي هذا الجزء ان المؤلف جمعه من مقدمة الخطيب ومعجم البلدان ومراصد الاطلاع في صفحاته الاولى شيء من التاريخ عن الحيرة وبناء الكوفة والبصرة وواسط وبغداد و سامراء وهو منقول من مصادر معروفة لاغير ذلك وليس فيه تتبع عميق وقد تكلم المؤلف عن على دارين او ثلاث كان بناؤها في زمنه ووصفها مع الاطراء .

وادرج ماقيل في ذلك عن القصائد كما انه تكلم على مجرى الفرات في الهندية مع نقل بعض المضابط التي رفعها اهل الحلة الى الحكومة واورد ماقيل في سدة الهندية في سنه ١٣٠٨ هجرية من خطب وقصائد ومايعود الى هذا الزمن قديبلغ نحو ثلاثين صفحة له فيها بضع صفحات . ومما رايته غريبا في بابة المؤلف (ص ١٨٢ من مخطوطي) عد مراصد الاطلاع من مؤلفات ياقوت وكان قد فاته اذ ذاك ان مقدمة مؤلفه نفسه تنقد ياقوت فالكتاب لغيره وهو لصفي الدين كما تعلم .وخلاصة الكلام ان تاليفاً على المنوال الذي اتبعه المصنف لايحتاج الى علم غزير ودراية وافرة فانه نقل لايتبعه تحقيق وبوسع كثيرين ان يضعوا تلك الكتب امامهم وينقدوا مايرونه داخل الخطة التي رسموها لانفسهم فميزة هذا الجزء الوحيد انه جمع مافي المصنفات في مجلد واحد هذا ولا ادري هل انه وعى كل مافي المعجم وصنوه المراصد عن البلاد والمواضع وما قصده المؤلف في تصنيفه وللكتاب ميزة اخرى انه للالوسي كما ان لنسختي ميزة خاصة انه نظر فيها .

ولعل نسختي وحيدة لقول الاثري ان المؤلف لم يتم الجزء الاول فنظر انه لم ير نسخة حوت مافي هذه ولو قال غيره قوله لما كنا نعيره بالا لكنه من الذين لايفوتهم الوقوف على هذا الجزء لو كان موجودا في في خزانة المؤلف ولعله اول هولاء الناس واي رجل منهم له صلة بالالوسي وخزانته اكثر من الاثري !

وقد عد الاستاذ الاثري. ومثله مقدمة الكتبي نعمان. المسك الاذفر جزءا ثانيا من الكتاب مع ان خاتمة المؤلف للجزء الاول تفيدنا ان الجزء الثاني سيكون بحثه في من تولى بغداد من الحكام واذا نعلم شيئا نت عن هذا الجزء فهل لم يضف ؟ ويجوز انه ضاع فلم يعرفه الاثري كما انه لم يعرف اتمام الجزء الول .واقرب ماوجدناه من صاحب الكتاب الى عصرنا ماورده عن الحلة وسدة الهندية وهذا بعضه : وانقطع مجرى ماء الفرات عن الحلة ... وعاد الى سكنة تلك البلاد ماكانوا عليه من البلاء .. وشرع اولياء الامور يعللونهم بالاماني .. حتى انقلب الامر وصارت الدولة مشروطة بالقوانين .. من ذلك في اواخر جمادي الاخرة وتكررت الشكوى مرارا الى ان ورد الجواب اسماع شكواهم وارسال المهندسين من الافرنج (يريد بهم السر وليم ويلكوكس وجماعته) لاصلاح السد ... والمهندوسون الان باشروا بالاعمال والله المسؤول ان يصلح امرنا ..).

واذا كان الكتاب اكثره على غرار مقدمة الخطيب ومعجم ياقوت والمراصد قلما فيه من التاريخ فاسمه لايوافق مضمونه وهكذا الاجزاء التالية انها ليست تاريخية فقد جرى من الالوسي مجرى الخطيب البغدادي اذ سمى كتابه تاريخ بغداد وهو كتاب تراجم لاتاريخ ىهذا قليل من كثير اطلعكم عليه برجعوكم سالمين غانمين بمنة وكرامة.

اشكر للحبيب فيليب شيحا الصديق القديم على سلامه وارجو منكم اذا لاقاكم ان تهدوه سلامنا مثله مع مزيد وعسى ان يكون ناجحا في اشغاله وقد ذكرني اسمه ايام الصبا والشباب.

الوالدة لاتزال طريحة الفراش غير قادرة على سير خطوة واحدة وان لاتشكو شيئا هي والاخ وقرينته وولداه والاختان جوزفين وفريده يشكرونكم على سلامكم وجميعهم يقدمون الى حضرتكم واجبات الاحترام والتكريم مع الامل بقرب ملاقاتكم في مجمعكم الادبي ودمتم باحترام وخير وعافية

المخلص يعقوب سركيس

اليوم صباحا زرت ارملة الخال السيدة ميا خاتون فذكرناكم كما وعادتنا واخبرتني بمضمون مكتوبها الذي بعثت به اليكم .

هل لخزانة فقيد العلم احمد باشا تيمور فهرست مطبوع ؟ وان لم يكن فهل في النية وضع فهرست لها .

تلفون عبد الجواد الاصمعي
٨٤٠٨١

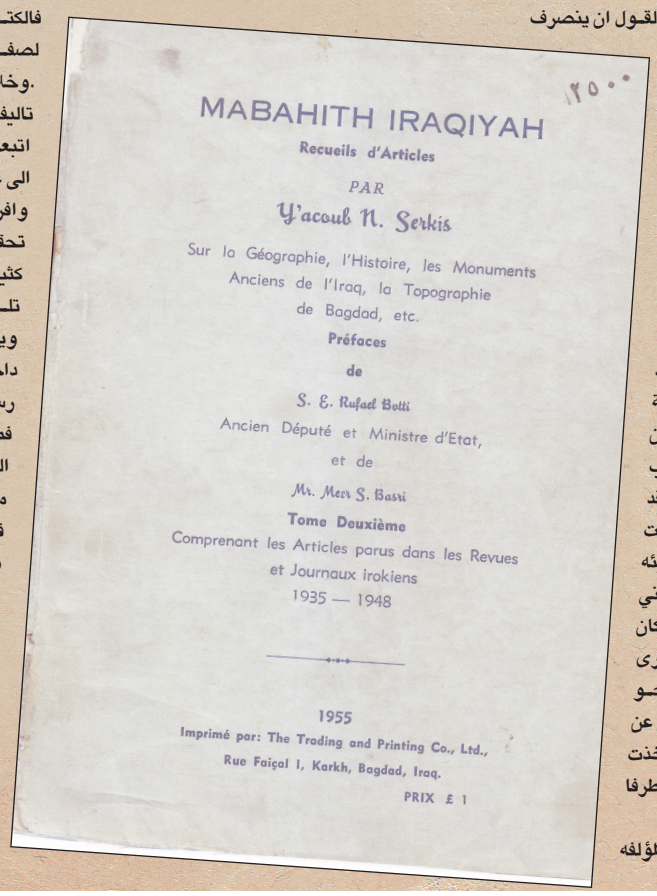

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

الرسالة الثانية

بغداد في ١٢ كانون الثاني ١٩٣٦ الى القاهرة
حضرة العلامة الاب الجليل انستاس ماري الكرملي المحترم
احتراما جزيلا وتكريما كثيرا . سالت الدير بالتليفون يوم سفركم نحو الساعة التاسعه ونصف طالبا ان يفيدني المتكلم عن سفركم فقال انكم لم تبارحوا الدير فعرفت تاخر سفركم ذلك اليوم . وصمت على زيارتكم بعد عودتي من زيارة بعض الرجالات المسلمين لتهنئتهم بعيد الفطر ان لم اكن قد زرتم كذا في يومه لهطول المطر يوم ذاك .
وكان مجيئي الى الدير في الساعة ١١ ونصف او بعيدها فاخبرني حضرة الاب الرئيس بانكم اخبرتم على حين غرة بلزوم الحضور الى المطير (لا المطار اليس كذلك ؟) سريعا لان السفر يكون ظهرا والحق اني لم اقلق كما قلقت العام الماضي اذ كان الجو مضطربا وقبل ثلاثة ايام تكرم علي حضرة الاب الرئيس بزيارة وهو حاضر لمكتوبكم اليه المرقم بعدد واحد المبشر بوصولكم باتم راحة واطلعني على معظمة فسرتني الاخبار ووصولكم الى القاهرة بعد ست ساعات.
ارسل الي حضرة الاب الرئيس امس السبت الى كتابكم الي المؤرخ في ٦ الجاري ولاني اشكركم على ذكركم اياي على اثر وصولكم قبل مرور ايام نعم كان الخبر بقطع المسافات الشاسعة التي تمر بمئات الكيلومترات واكثر في ساعات معدودة حلما من الاحلام الا خبر بساط سيدنا سليمان عليه السلام ولكني اتسأل هل كان يمكنه ان يقطع هذه المسافة في ست ساعات فقط ؟ وهل كان بامكانه ان يصطحب رفيق له بل جماعة كما نراه اليوم في الطيارات؟
بطيه تجدون مقالي (ترجمة فرامين مصر) فعسى ان يروق بعض اصحاب المجلات المصرية فينشر ... وارجو من حضرتكم اذ يمكن ان تنظروا فيه لئلا اكون قد غلطت في شيء ... ولحضرتكم الشكر .
وصلني امس كتاب من الصديق العزيز مصطفى افندي جواد في مايزيد على صفحتين ونصف كله في التاريخيات ومما فيه انه سال الاستاذ كرينكو عن ذكر دار المسناة في المنتظم وانه جاوبه قائلا (فعملت فهرست على وريقات لاسيما الرجال والاماكن ولم ادخل فيه دار المسناة اذ لا يبين عند القراءة انه موضع خاص . ولهذا السبب يقتضي ان اطالع الاخبار مرة اخرى هل فيها ذكر دار بناه المستضيئ وسأخبركم بعد زوال اسبوع) وقد مضى اسبوع ولم يخبرني ثم قال عن نفي ابن الجوزي الى واسط (لعله كتب هناك كتاب في اخبار المستضيئ اذ الاب انستاس اخبرني انه قد اشترى تاريخا لدولة هذا الخليفة ولا يعرف له نسخة اخرى) فهل لكم علم بهذا التاريخ ؟ انتهى كلام مصطفى افندي وساكتب اليه عن امر هذا التاريخ وانقل له النبذه التي وردت فيه في مبايعة المستضيئ اذ لاشيء فيه غيره عن هذا الخليفة كما علمتم عن ذلك وليس في ذكره لهذه المبايعة الا المدح في نحو صفحة في كتابه عن دارة المسناة مضمونه انه كان يقول انها من بناء الناصر غدا يشك في ذلك ويغلب ظنه انها من بناء المستضيء وانه اخيرا قد عاد الى رأيه الاول
لاسباب ذكرها قائلا (ولكني شككت فزادت اسباب الشك وقويت اسباب الاعتقاد).
فقد عاد مؤيداً لرأيي. وانقل لحضرتكم ماجاء فيه بشأنكم مع حالة وقعت فيها مع الاسف وعسى انها انفرجت: (ذكر لي العلامة انستاس ماري الكرملي انكم عازمون على شراء ماهديتموه الي وقد وصلتني الهدية قبل كتابه ولم اجب عن كتابه خشية ان يسافر الى القاهرة ويبقى الكتاب في بغداد ثم انه لم يخبرني بشيء من ذلك نعم اخبرني قديما ولكن الاضطراب في مصر لايزال مستمرا وزاد عذابي اذ ان الشرطة الباريسية اخطات في ورقة هويتي فكتبت لي احد عشر شهرا بدلا من سنتين كما هو عادة التلاميذ وقد اضافوا لي (افاق محدودة) في حين كتابتها والمدة قد انتهت .
ثم اعطوني مهلة شهرا واحدا والمدة تنتهي في ١٧ كانون الثاني بواسطة كتاب من المفوضية الملكية العراقية وكان الواجب ان يكتبوا الى وزارة الخارجية والظاهر ان الخطا من كاتب القنصلية الفرنسية ببغداد فانا مضطرب البال لان لهم الحق ان يطردوني من بلادهم وقد ذهبت الى الاستاذ ماسينون حفظه الله يطالبني وقد جئت اليه من اجله وقال لي : اذهب وكن مطمئنا فالامور تسير على ماتحب وقد مضى عشرون يوما لا جواب ولا كتاب) اه ساعده الله وانجحه.
وقال (سلامي الى العلامة الاجل الاب انستاس ماري وقد ذكره الاستاذ مارسيه مرارا في ال كوليج ذي فرانس بمناسبة طبعه من كتاب العين للخليل مع القدر والتعظيم والاحترام وطلب مني عنوانه ولعله قد بعث اليا مكتوبا.
زارني يوم الجمعة الذي سافرتم فيه بعد الظهر الاستاذ بطي ومعه شاب اسمه بشير يوسف فرنسيس وهو معلم في المدرسة الثانوية وهو خريج مدرستكم ثم خريج دار المعلمين العليا وهو ابن يوسف الطباع الذي كنتم تطبعون عنده مجلة لغة العرب (المحتجبة ويا للاسف) قبل الحرب العالمية وقد اخبرني بطي ان هذا الشاب قد أتم تعريب (كتاب بغداد في العصر العباسي) للسترنج ورجاني ان اعينه في ايقافه على الكتب التي رجع اليها المؤلف وغيرها للانتفاع على قدر امكانه وان اعلق بعض الحواشي توسيعا وتصحيحا وبعد ان قضينا نحو ساعتين ونصف وقد فارقتني على ان يعود الشاب الي . وهكذا كان فانه جاءني يوما وقرانا من تعريبه نحو ١٥ صفحة صححنا فيها بعض الاعلام وغير ذلك وجعلته يضيف حاشيتين احدهما من نهر دجلة وانه ان لم يكن مجراها كان يسمى الغراف اليوم بل هو مايسمى اليوم الدجيلة وهي مندرسة والحاشية الاخرى في اسم بغداد تبعا لراي معالي غنيمة في لغة العرب ورأى المطران نوري في رحلته الى الهند وهو يقول ان معناها حظيرة الغنم والظاهر ان الكاتبين تواردا الخواطر. اهل البيت جميعهم يقدمون الى حضرتكم الاحترام وسابلغ مينا خاتون عبود (على اصطلاحي الخالة مينا) تحياتكم وحفظكم الله ذخرا لاسيما للغة العربية امين ثم امين .
المخلص يعقوب سركيس

عن (منتخب رسائل سركيس الى الاب الكرملي)
اعداد وتعليق: معن حمدان علي
مجلة بين النهرين 1998

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2515)
السنة التاسعة
الخميس (21)
حزيران 2012

مباحث عراقية

في عام 1948 اصدر المؤرخ والباحث يعقوب سركيس الجء الاول من كتابه الموسوعي « مباحث عراقية » وهو كتاب ضم به مقالاته وابحاثة التي نشرها في مجلة لغة العرب من سنة 1912 الى سنة 1927 وقد صدر المؤلف كتابة بهذه الكلمات « الى روح العلامة اللغوي المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي.. ذكرى خدماته الجليلة للغة الضاد «
الجزء الاول من الكتاب قدم له العلامة محمد رضا الشبيبي بالكلمة التالية:

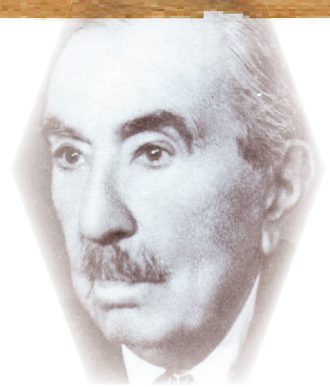

يعد العراقيون من احدث الشعوب عهدا بممارسة فن الصحافة الحديث، ولقد ظهرت في أواخر عهدنا بالدولة العثمانية صحف ومجلات عربية في بغداد ومثلها في بعض الحواضر العراقية، وفي هذه الصحف قبل مدة ناهزت الأربعين عاما كنت اقرأ بواكير ما كتبه الأستاذ المؤرخ والصديق الوفي السيد يعقوب سركيس وكان يعالج في مقالاته عدا الموضوعات التاريخية موضوعات أخرى من قبيل الخطط والآثار او البحث في العمران. فما كان يفوتني بعد ذلك تصفح كل مقال أجده مذيلا بتوقيع الأستاذ يعقوب اذ هي مقالات وفصول تدل على جلد بالغ في البحث والتنقيب ومطالعة عدد كبير من الأسفار الموضوعة في شتى اللغات من شرقية وغربية.

بقيت تلك المقالات كاللئالئ المتناثرة لا ينقصها لتكون عقداً ثمينا الا ان تنتظم في سلك وكنت أعلم ان صاحبها يكره الشهرة ويزهد في الادعاء وينتحل الأعذار في هذا الباب فكنت أحضه واستنهض همته من حين الى آخر لجمع ما تفرق منها في شكل كتاب يوضع بين أيدي الباحثين والمراجعين الى أن صحت عزيمته في هذه السنة على اخراج هذا الجزء وسيتلوه غيره من الأجزاء ان شاء الله.

لا اعرف الا نادرا من يجيد معالجة البحث في الخطط والآثار وما الى ذلك مما يتطلب استعدادا خاصا ويستدعي الماما كافيا بما كتبه الرواد من الافرنج عن هذه البلاد، ولا يخفى ان هؤلاء الرواد خبروا بلادنا واستنفضوا بقاعها بقعة بقعة فصاروا أدرى بشؤونها منا وهل يستوي العلماء والجاهلون؟ وما أكثر مؤلفات القوم واسفارهم ورحلاتهم المدونة في هذا الباب، وقد نشرت في مختلف لغاتهم بين انكليزية والمانية الى افرنسية وغيرها، وقد أصبح كثير منها نادر الوجود.

جبل الاستاذ يعقوب على الشغف باقتناء هذه الاسفار بل تكلف عرق الغربة في جلبها من مظانها فتكونت لديه خزانة كتب غنية بهذه النوادر لا أبالغ اذا قلت انها منقطعة النظير بين خزائن كتب الشرق العربي، هذا عدا مجموعة من المخطوطات النفسية توجد في الخزانة المذكورة وبينها وثائق وسجلات قديمة لها قيمتها التاريخية. ولذلك سيجد المراجع فيها برهانا قاطعا على جلد المؤلف وطول نفسه في البحث والتنقيب وبذل الوسع في خدمة الدراسات التأريخية.

وانه ليسرني في الختام تقديم هذه المجموعة النفيسة الى المعنيين بدراسة الموضوعات التاريخية وما الى ذلك من تجويد البحث في شؤون الخطط والآثار العراقية ولا يخامرني أدنى شك في الاقبال عليها وتقدير جهد المؤلف فيها من قبل محافلنا العلمية أحسن تقدير.

١٧ شعبان سنة ١٣٦٧
٢٦حزيران سنة ١٩٤٨

اما الاستاذ سركيس فقد قدم كتابه بالكلمة التالية:

لم يدر في خلدي يوما ان اجمع شتات مقالاتي ونبذي المنشورة فأطبعها ضاما بعضها الى بعض في دفتي مجلد ولكن كثيرا من الأصدقاء والمعارف طلب مني هذا وحثني ملحا غير واحد منهم عليه فلم يكن لي بد من النزول عن إرادتهم وقد اولوني تقديرا فأنا شاكر لحضراتهم على حفزهم اياي الى جمع ما كان متفرقا وإظهاره ثانية في شكل يغني عن مراجعة عدة مجاميع لمجلات لسنين كثيرة لابد من ان يكون بعضها نادرا.

ان مضامين مقالاتي والنبذ التاريخية الانف التي نشرتها في العراق هي جميعها مباحث عراقية في التاريخ والجغرافية والآثار وخطط بغداد في العصر العباسي وما ضاهى ذلك مما له صلة بهذا القطر. وهذه المجموعة المطبوعة التي في اليد تحوي القسم الاول من هذه المباحث وهو المنشور في مجلة لغة العرب للاب انستاس ماري الكرملي- رحمه الله- من سنة ١٩١٢ ويحوي كذلك هذا القسم ما هو منشور فيها من سنة ١٩٢٧ حتى غاية سنة ١٩٣١ حيث افل نجمها الساطع فما لي في هذه المجلة هو في سنيها جميعها الا ما صدر منها في سنة ١٩١١ (وكان الابتداء بإصدارها في تموز) وما صدر منها في سنة ١٩٢٦ (وكان الابتداء بإصدارها كذلك في منتصف السنة ولم يؤرخ الجزء) ولم أكن في بغداد خلال معظم تلك الشهور من السنتين المار ذكرهما ولهذا السبب لم اكتب فيها اذ ذاك.

رغب الذين طلبوا جمع مقالاتي ونبذي ان يكون الجمع شاملا لجميعها وها أنذا ابتدئ الآن بنشر ما في لغة العرب فحسب فأني لم اكتب خلال سني صدورها الا فيها ولعلي أجمع للنشر بعد هذا ما لي في غيرها من المجلات وهي: النجم (الموصلية) ومجلة غرفة تجارة بغداد ومجلة الاعتدال والبيان (النجفيتان) وجريدة البلاد (البغدادية وكان نشري فيها لخلو بغداد من مجلة) وكذلك أجمع ما لي في المجلات التالية: عالم الغد (بغداد)، الجزيرة (الموصل)، الادب والفن (لندن)، مجلة دار المعلمين العالية (بغداد)، سومر(لمديرية الآثار القديمة العامة. بغداد)، المقتطف (مصر)، فأن لي في كل من هذه المجلات مقالا كما ان لي نتفا في بعض الصحف اليومية.

ولو جمعت كل هذه الكتابات وطبعتها يكون قوامها نيفا وخمسمائة صفحة من هذا القطع يضاف اليها الفهارس.

تحوي مجموعتي من لغة العرب تعليقات كثيرة على كلامي فيها فلو أردت إدخال هذه الإضافات هنا اكون قد اخذت على نفسي القيام بعمل قل انه انشاء جديد وهذا ليس في وسعي وقد جاوزت السبعين بسنتين ولي غير هذا السبب. نعم اجتنبت هذا الامر المتعب ولكني لم أهمله بتاتا فأني أشرت احيانا- هي أحيان قليلة- الى ما حسبت إيراده سهلا علي وبيانه ضروريا معلما اياه بنجم كهذا× وواضعا الكلام في أسفل الصفحة كما اني أوردت إكمال نشر لنبذة تاريخية كان سبب تأخيره ذلك الاحتجاب لمجلة لغة العرب في سنة ١٩١٤ (راجع الص٥٦)، وأوردت وثقيتين وقعت نسختاهما في يدي أخيرا (راجع الص٤٤آ والص٢٣٤) ونشرت صورة إحداهما وغيرها من الصور.

اجل أبقيت نعوت الذين ذكرتهم في المجلة بألقابهم ومراتبهم كما كانت لأصحابها يوم ذاك وقد مر على بعض ذلك ست وثلاثون سنة وآخر ما جاء لي فيهم مر عليه سبع عشرة سنة فلا بد من ان تغير شيء من ذلك خلال هذا الزمن الطويل فمعذرة أيها الأفاضل الكرام عن ابقاء ما كان على ما كان.

وارجو ختاما ان اكون قد قمت بقسط مما أحبه وأراده مني الإخوان والأصدقاء والمعارف مع الرجاء من حضراتهم ومن غيرهم من القراء الأفاضل ان ينبهوني الى اي غلط له صلة بالموضوع فأكون شاكرا للناقد إذا أصاب والله الهادي الى الصواب.

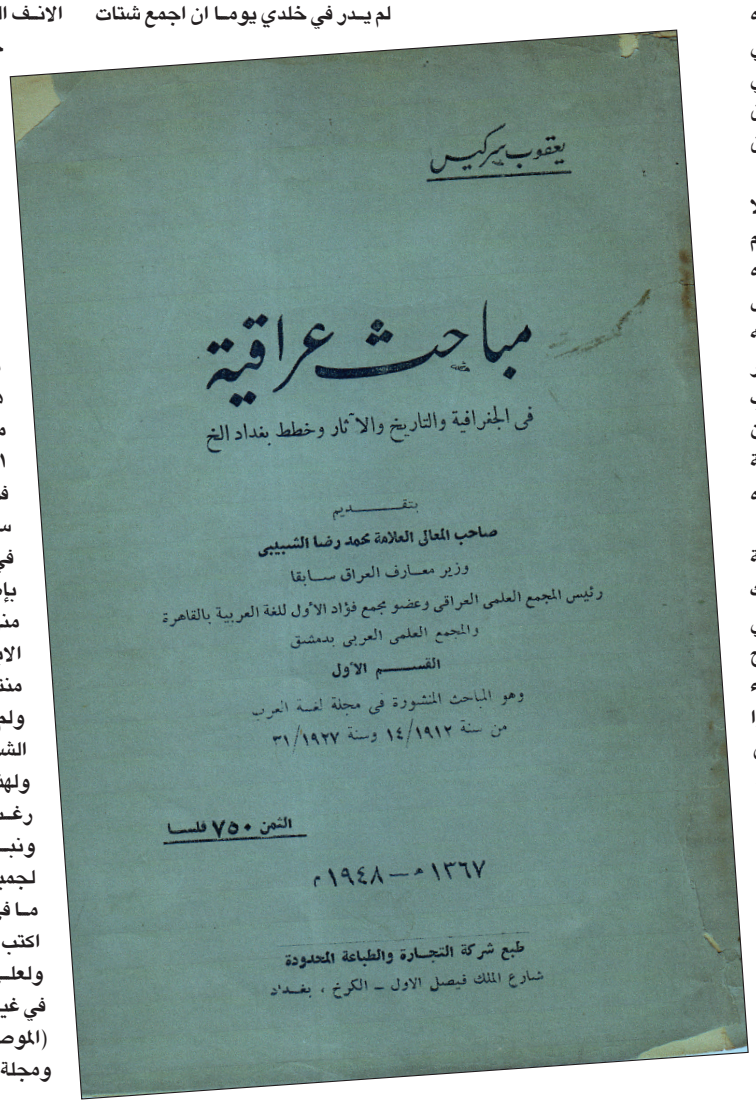
يعقوب سركيس

مباحث عراقية

في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد الخ

بتقديم
صاحب المعالي العلامة محمد رضا الشبيبي
وزير معارف العراق سابقا
رئيس المجمع العلمي العراقي وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بالقاهرة
والمجمع العلمي العربي بدمشق

القسم الأول

وهو المباحث المنشورة في مجلة لغة العرب
من سنة ١٩١٢/١٤ وسنة ١٩٢٧/٣١

الثمن ٧٥٠ فلسا

١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

طبع شركة التجارة والطباعة المحدودة
شارع الملك فيصل الاول — الكرخ، بغداد

يعقوب سركيس.. كيف جمعت آثاره؟

بقلم: كوركيس عواد

باحث ومؤرخ عراقي

عرفت الاستاذ يعقوب سركيس، من مقالاته، قبل ان احظى بلقياه، فكنت اجد ما ينشره في بعض المجلات، رصينا ممتعا، ذا طابع علمي يتسم بالتدقيق والتمحيص العظيمين.

ثم التقيت به اول مرة، في اواخر سنة ١٩٣٦، حين زرته في داره الجميلة ببغداد، وهي مطلة على دجلة، على مقربة من جامع السيد سلطان علي، وتوالت زياراتي له، فكنت اجد فيه رجلا نبيلا، جليل القدر يفيض ادبا وتواضعا، بعيدا عن حب الظهور، عالما باحثا محققا، لا يكتب كلمة الا وهو واثق من امرها، غير متسرع في آرائه، يتروى ويانى في ما يكتب: واسلوبه في الكتابة، اسلوب العلماء الذين يتوخون الحقيقة، دون التشبث بالمظهر الخلاب.

وكم تمنيت، حين كنت اطالع مقالاته هنا وهناك، واقف على ما تنطوي عليه من فوائد جمة وتحقيقات نادرة في الجغرافية والتاريخ والاثار وخطط بغداد وغير ذلك من الموضوعات، ان لو تأتي له ان يجمع شمل تلك المقالات المتفرقة ويخرجها في كتاب قائم بذاته. انهن ولا شك، سيتيح بذلك للعلماء والمتتبعين، الرجوع اليها بايسر سبيل، لاسيما وان العهد بنشرها قد بعد، وندر وجود تلك المجلات التي كانت تنشر فيها.

ثم زرته في داره، على جاري عادتي، فاخبرني انه عقد النية على نشر مقالاته جميعا في كتاب، لعله يقع في مجلدات، وانه شرع بطبع المجلد الاول منه، وهو يضم ما سبق له نشره من مقالات ونبذ، مجلة "لغة العرب" التي كان العلامة الاب انستاس ماري الكرملي قد اصدرها في بغداد، خلال السنوات ١٩١١ – ١٩١٤ و ١٩٢٦ – ١٩٣١. وقد وسمه بكتاب "مباحث عراقية".

وكان – رحمه الله – قد رغب يوم ذاك، في ان تتولى ، انا واخي ميخائيل عواد. صنع "فهارس هجائية" لهذا المجلد، تفي بالمرام. ذلك ان كتابا حافلا بشتى الموضوعات، تتزاحم في سطوره اسماء الاشخاص والامكنة، وتكثر في ثناياه المراجع العربية والتركية والفارسية والافرنجية، وفيها المطبوع والمخطوط، وتتردد في معظم صفحاته مصطلحات والفاظ دخيلة جمة، نعم ان كتابا مثل هذا، لن تتأتى الفائدة المتوخاة منه ما لم يكن معززاً بفهارس دقيقة تفصح عما فيه.

فلبينا رغبته بسرور بالغ، واقبلنا على فهرسة هذا المجلد فهرسة متقنة كاملة الجوانب، نشرت في الصفحات ٣٥٥ – ٤١٣ من ذلك المجلد الاول الذي طبع في بغداد سنة ١٩٤٨. وقد اثرنا يوم ذاك ان لا يتذكر اسمنا بازاء تلك الفهارس.

ثم مضت على ذلك سنوات، عمد – رحمه الله – في خلالها الى نشر المجلد الثاني من كتابه، فظهر سنة ١٩٥٥، حاويا بين دفتيه ما كان قد نشره من مقالات في جريدة "البلاد" البغدادية، ومجلة "الادب والفن" اللندنية، ومجلتي "الاعتدال والبيان" النجفيتين، و"مجلة غرفة تجارة بغداد" و"عالم الغد" البغداديتين، ومجلة "المقتطف" التي كانت تصدر في القاهرة.

ولم يكتف باعادة نشر تلك المقالات، حسبما وردت في المظان التي المعنا اليها، بل زادها فوائد واضافات نافعة. وهذا كان دأبه وديدنه في ما ينشر من مباحث، يعاود النظر فيها كلما وجد سبيلا الى ذلك.

وكان يامل ان تتولى فهرسة هذا المجلد الثاني، على غرار ما فعلناه في المجلد الاول. ولكن شواغل مختلفة، حرمتنا عن اداء هذا العمل الذي كما نرغب فيه، فاضطر عند ذاك الى ان يعهد بالامر الى صديقنا الاستاذ يوسف مسكوني – رحمه الله – فصنع فهارس المجلد الثاني بكمالها، وظهرت مطبوعة في الصفحات ٤٠٤ – ٤٧٦ من ذلك المجلد الذي نشر ببغداد عام ١٩٥٥ وجرى الاستاذ مسكوني ايضا على نحو ما جرينا عليه في اغفال ذكر اسمه في تلك الفهارس.

ثم عني يعقوب سركيس، باستجماع مواد المجلدين الثالث والرابع من كتابه، وهما يحتضنان سائر ما نشره من مقالات ونبذ في شتى الصحف والمجلات، وقد طبعا على الالة الكاتبة، وقابلهما مؤلفهما بنفسه على الاصول المنشورة فيها، وهيأهما جميعا للنشر. ولا اعلم ما الذي اعاقه عن طبعهما ولعل لمرضه ضلعا في ذلك.

وتعاقبت اعوام توفي خلالها يعقوب سركيس، واسدل ستار النسيان على نشر هذين المجلدين، ثم بلغني بعد مضي سنين على وفاته، ان اسرة سركيس، قد صحت عزيمتها على نشرهما، احياءا لذكرى عميدها وفقيدها الكبير يعقوب سركيس. ولكن مسودات الكتاب، كانت في ما يبدو قد فقدت ، اذ لم يعثر على شيء منها في مكتبته ومخلفاته. فضاعت بفقدها فرصة ثمينة لاحياء هذا المشروع الثقافي الجليل، لو لم يقيض الله له احد ادبائنا الافاضل، وهو الاستاذ معن حمدان علي، الذي حمله حب البحث على ان يبدأ العمل من جديد، فيستجمع شتات تلك المقالات من مظانها الاولى وينسقها ويعلق عليها التعليقات النافعة، تمهيدا لنشرها. لقد بذل هذا الاديب الباحث من الجهد والوقت الشيء الكثير، وكان من ثمار ذلك هذا المجلد "الثالث" الذي يسعدني ان اقدم له بهذه المقدمة، املا ان يتبعه بالمجلد "الرابع" لتتكامل حلقات هذا الكتاب الفريد الذي حوت مجلداته معظم ما انتهى اليه استاذنا الراحل يعقوب سركيس، من مباحث نفسية وتحقيقات مفيدة ، يدور اغلبها على احوال العراق في العصر العباسي فما بعده حتى اواخر العصر العثماني.

مباحث عراقية الجزء 3

عراقيون
من زمن التوهج

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير: علي حسين

الاخراج الفني: نصير سليم

التصحيح اللغوي: نوري صباح

طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

في ذكرى مؤرخ نادر

في الثالث والعشرين من شهر كانون الاول عام ١٩٥٩ استأثرت رحمة الله بروح شيخ وقور واستاذ جهبذ جليل القدر، انصرف الى البحث والتحقيق ونذر حياته لتدوين صحائف مجهولة من تاريخ بلادنا وحقبها وبقاعها واحداثها وجغرافيتها وخططها واثارها وشؤون رجاله، وامدنا بمعارف كثيرة عن حقب تاريخية كانت مجهولة ومبعثرة او كانت محصورة في نطاق معلومات ضيقة او في روايات متهافتة وقد تكون متضاربة. او كانت مذخورة طي الظلام فوجدت لها راهبا انقطع لها وعف عليها، ومضى بمحاولات علمية رائعة وبجهود موصولة مضنية ان يكشف النقاب عنها ويسهر على تنقيتها ويقرح جفونه في سبيل تصحيحها. ذلك هو المرحوم الاستاذ يعقوب نعوم سركيس الذي بدأ الكتابة منذ سنة ١٩٢٣ ونشر مقالاته وبحوثه ودراسته العميقة في مجلات وصحف عديدة كمجلة (لغة العرب)، (غرفة تجارة بغداد)، (النجم) الموصلية، (الاعتدال) النجفية، (عالم الغد)، (البيان)، (الجزيرة)، (سومر)، (النور) ومجلة (المجمع العلمي العراقي) و(الادب والفن) اللندنية و(المقتطف) القاهرية وجرائد (البلاد)، (الزمان)، (العراق)، (الاخبار)، (الشعب)، (الطريق)، (الاوقات) البغدادية وغيرها.

لقد دخل المرحوم سركيس رحبة البحث والتحقيق وهو مزود بما اهله ليكون من الباحثين والمحققين الثقات، فقد جمع خزانة كتب ضخمة ضمت نفائس من المؤلفات النادرة والمراجع العربية والتركية والفارسية والانكليزية والفرنسية وكذلك الرسائل والوثائق المخطوطة والمطبوعة التي لم يتيسر اقتناؤها إلا بالمال الوفير وانفاق الجهد المضني في الحصول عليها، وقد قدم بحاثتنا الراحل بجمع اغلب مقالاته وبحوثه ودراساته في كتاب اسماه (مباحث عراقية)، اصدر الجزء الاول منه في سنة ١٩٤٨ والثاني في سنة ١٩٥٥، وبعد وفات تولى الاستاذ الفاضل معن حمدان علي، بجهده المشكور اصدار الجزء الثالث، وما تزال هناك على ما نعلم مواد متفرقة نشرها الفقيد في شتى الصحف والمجلات وكذلك الكثير مما دونه في اوراقه ومخلفاته المخطوطة ما يصلح ان يحتضنها جزء رابع او اكثر.

ان أغلب ما تضمنته فصول مجلدات هذا الكتاب يدور معظمه على احوال العراق منذ العصر العباسي وما تلاه حتى اواخر العهد العثماني.

وقد كشف الاستاذ سركيس بدراساته وتحقيقاته الجادة التي عكف عليها وتوفر على بحثها، عن حقائق مطوية وفترات غامضة وثغرات مجهولة، كما عالج بعد البحث والتفتيش والتنقيب والتمحيص، كثيرا من البحوث التاريخية التي اعتراها النقص والخطأ والتشويش، والقى الضوء على ما خفي من اسرار تلك الحقب وكشف عن اغطيتها الثقيلة باسلوب العالم الذي يتوخى الحقيقة، والمؤرخ الثبت لدقيق الذي يهتم بموضوعاته اهتماما كبيرا يجعله يطلع على عدة مصادر مختلفة، قديمة وحديثة، عربية كانت او غير عربية، حتى لم يكد يفلت من بين يديه مرجع واحد مما يعينه على اتمام بحثه، ولكي يوفي بامانة كل موضوع حقه من البحث والعناية باستيعاب كل عناصره وتوضيح كل جوانبه، ولا يصدر حكمه إلا بعد ان يستوفي دراسته ويستكملها على اكمل الوجوه العلمية وادق المناهج السليمة مهما طال به البحث او توعر عليه الطريق ليؤديها الى الناس صادقة كاملة.

ويكفي هذا السفر النفيس القيم منزلة ومكانة ما كتبه العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي في تقديمه اذ قال: (قبل مدة ناهزت الاربعين عاما كنت اقرأ بواكير ما كتبه الاستاذ المؤرخ والصديق الوفي يعقوب سركيس وكان يعالج في مقالاته عدا الموضوعات التاريخية موضوعات اخرى من قبيل الخطط والاثار او البحث في العمران.

فما كان يفوتني بعد ذلك تصفح كل مقال اجده مذيلا بتوقيع الاستاذ يعقوب إذ هي مقالات وفصول تدل على جلد بالغ في البحث والتنقيب ومطالعة عدد كبير من الاسفار الموضوعة في شتى اللغات من شرقية وغربية).

ويختتم المرحوم الشبيبي تقديم الجزء الاول من هذا الكتاب بقوله: (وانه ليسرني في الختام تقديم هذه المجموعة النفيسة الى المعنيين بدراسة الموضوعات التاريخية وما الى ذلك من تجويد البحث في شؤون الخطط والآثار العراقية ولايخامرني ادنى شك في الاقبال عليها وتقدير جهد المؤلف فيها من قبل محافلنا العلمية احسن تقدير).

عن جريدة العراق / 23 / ك2/ 1990

عراقيون
من زمن التوهج